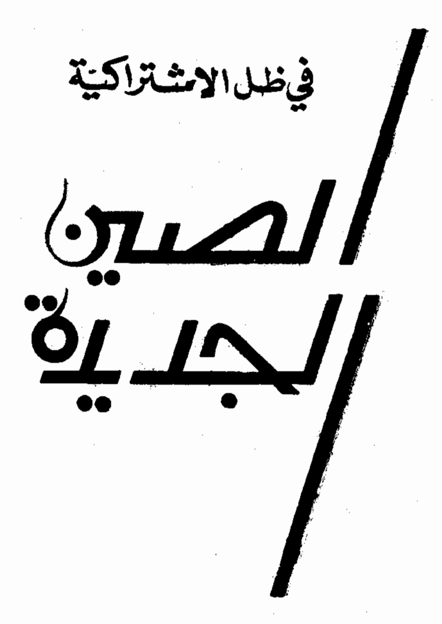
عبد السلام الادهمي

الصين الجديدة

في ظل الاشتراكية

دار العلم للملايين

عبد السلام الادهمي



دار العلم للملايين
بيروت

الطبعة الاولى

بيروت ، تشرين الثاني ١٩٥٤

سفر الوفود

في اليوم السادس عشر من شهر آب سنة ١٩٥٣ أعلن عن انتهاء المهرجان ، وأخطرت الوفود بالاستعداد للعودة الى بلادها. وكانت منظمة الشباب قد اعدت الخطوط الكبرى لاجراآت التأشير على الجوازات وتهيئة القطارات . وفي السابع عشر من آب تقدم الوفد الصيني بدعوة بعض اعضاء الوفود لحضور الاحتفال بالذكرى الرابعة لتأسيس الجمهورية الشعبية في الصين . وكنت احد هؤلاء الثمانية من شباب العرب الذين تلقوا الدعوة لزيارة عاصمة ابناء السماء. وانتظرنا ثمانية عشر يوماً للحصول على التأشيرات اللازمة قضينا منها اسبوعاً كاملاً في توديع العائدين الى بلادهم من اعضاء الوفود .

كانت محطة بخاريست تعج ليلاً ونهاراً بهذه الكتل البشرية من مودعين ومسافرين ، ولم تكن حماسة الرومانيين طوال ايام الوداع بأقل روعة من ايام الاستقبال التي سبقت المهرجان . فقد اشترك الشباب والفتيات والاطفال في مظاهر الاخوة الجميلة التي اسبغوها على ايام الوداع . وفاضت عواطفهم التي عبروا عنها بالازهار والدموع والهتافات . وكانت الموسيقى ترسل الحان الشباب وانغام الحب والوفاء لهذه الايام الجميلة التي اشتركت

الشعوب فيها بتمجيد السلم والصداقة وروح الاممية . ولم تجفّ العيون ساعة . وضعف الذين ظنوا ان في اعصابهم قوة ، وعجزوا عن تحمل هذا الموقف بعد ان عاشوا في هذه الدنيا الزاخرة بالافراح والمباهج واللقاء المحبب . وآثروا ان يخففوا عن نفوسهم بهذا التواعد على تبادل الرسائل علها تكون وسيلتهم فيما بعد الى الوفاء نحو هذا الحب الذي كان يظللهم جميعاً .

اسبوع كامل تنبهت فيه العواطف وانطلقت من قيودها تكتسح حدود التقاليد ونوازع الانانية . وانتصر الحب وتهادى في الحدائق لتحتضن خمائلها اسرار الشباب وتحنو على آهاتهم وقبلاتهم وتجاوب عواطفهم . وفي هذه الحدائق انهزمت فلول الأثرة ، وعاش الشباب في ظلالها اياماً هانئة وجميلة لا يعكر صفوها الم او كدر .

●

وقد كنا في هذا الخضم الحافل بالعواطف نشعر بوحشة كبيرة من مفارقة اخواننا واصدقائنا العائدين الى بلادهم . وكانت أيام الوداع أليمة ، وبدت امامنا المسؤولية التي قبلناها بتمثيلهم في رحلتنا الى الصين، وقدرنا جسامتها وعاهدناهم ان نكون جاهدين في الحفاظ على سمعة الأمة العربية وتقاليدها الكريمة ، وعدنا الى العاصمة ننتظر موعد السفر. وطال الانتظار، فرأت منظمة الشباب ان ننتقل الى مدينة سينايا مصيف الملك والعظماء في العهود البائدة. واقلتنا السيارة تجتاز مائة واربعين كيلومتراً وسط غابات كثيفة زينتها الطبيعة بالخمائل والربى والزهور، والقرى تنتشر حول المدينة

لتكمل حياة الترف للأمراء والعظماء ، وقـد عادت القصور التي شهدت سفاهتهم بالأمس الى الشعب ينعم بها افراده وعماله وادباؤه .

وفي هذه المدينة الجميلة عشنا اسبوعاً كاملاً نزور قصورها وننعم بمناظرها الخلابة وحدائقها المنتشرة ، وبالأمسيات الغنية بالبرامج الفنية التي كانت تقدمها الوفود على انغام الاوركستر ، حتى اذنت ساعة السفر في اليوم الرابع من شهر ايلول ، فانتقلنا الى العاصمـة ومنها الى القطار في طريقنا الى الصين الجديدة .

قصر الملك

في هذا المصيف قصر الملك ، وقد بناه فرديناند اول ملوك رومانيا بعد استقلالها. وهو قصر تاريخي عظيم حافل بالآثار والهدايا التاريخية وصورة عن اسرار الملوك في حياتهم السياسية والخاصة ، تحيط به حديقة كبيرة واشجار باسقة تؤلف غابة مستقلة . وفيـه لوحات عديدة لاكبر الفنانين . وقد تحوّل اليوم الى اثر تاريخي يزوره السياح وابناء البلاد .

ياسي

تقع هذه المدينة الكبرى على مقربة من الحدود السوفياتية . وقد تأثرت بالحرب العالمية الثانية حيث كانت مسرحاً للمعارك الكبيرة ، وما زالت آثارها بارزة على جدرانها وابنيتها المتهدمة .

لم نكن على موعد مع منظمة الشباب لزيارة البلد ، ولكنهم بعد ان علموا بوجودنا في المحطة سارعوا الى الترحيب بنا وتعهّدوا

ضيافتنا في الساعات العشر التي كانت مفروضة بسبب موعد سفر القطار ، وسهلوا لنا زيارة معالم المدينة الكبرى وآثارها التاريخية وكنيستها الأثرية وجامعتها ومكتبتها الغنية بمليون ومئتي الف مجلد . وتنقلنا بين شوارعها الكبيرة وحدائقها ودور ثقافتها ومسرحها الكبير ، ثم عدنا الى المحطة لنودع هذه الروح العالية والنفس الكبيرة والادب الجم في شخص رئيس الجامعة الذي صحبنا في هذه الزيارات بأدبه الرفيع وتواضعه الكريم وعلمه الغزير .

اقلّنا القطار بعد وداع حافل في اتجاه الحدود السوفياتية لنستقبل بعد يوم وليلة عالماً جديداً يعيش في ظل الاشتراكية الواسعة . واجتزنا مساحات كبيرة من اراضي جمهوريتي مولداڤيا واوكرانيا ، وتعرفنا على حياة هؤلاء الناس التي كانت تزخر بالجد البادي على وجوههم في المحطات والمدن . وانتهى بنا المطاف الى العاصمة الكبيرة موسكو والاحلام تملأ نفوسنا وتزخر بالصور الكبيرة رؤوسنا . ثم افقنا على الشباب الذين وفدوا لاستقبالنا بوجوه ضاحكة وصحبناهم الى نزل المترويول الفخم . وبعد استراحة قصيرة قمنا بجولة خاطفة في المدينة العظيمة ، وسنتحدث عنها بعد عودتنا اليها من الصين .

لم تطل اقامتنا في موسكو اكثر من يومين وتركناها على لهفة وأمل . واجتمعنا في القطار الذي اقلنا الى الوفود الكثيرة التي تمثل الهند والباكستان واندونيسيا والفيتنام واوستراليا ونيوزلاندة والارجنتين وبلاد اميركا اللاتينية . وامتد سفرنا

في هذه الحافلات الغنية بجميع وسائل الراحة وصالات الطعام والمطالعة تسعة ايام بلياليها ، تبادلنا خلالها مع الوفود احاديث الود والسمر والحفلات ، وتناقشنا في نضال الشعوب ومقاومة الاستعمار . وكان وفدنا ابرز الوفود نشاطاً في البحث والمناقشة ، وعقدنا معهم حلقات الاجتماع تبادلنا فيها احاديث مختلفة في السياسة والاقتصاد والاجتماع وتاريخ الشعوب وعلاقاتها ونضالها، وقد أثبتنا ذلك كله بمذكرات اعددناها لننقل ما فيها بعد عودتنا امناء حياديين .

وفي هذا الكتاب كثير من أحاديث هؤلاء واصدق الصور عن خلجات نفوسهم وآمالهم وآلامهم . وفيه الكثير عن نهضة الشعوب الاسيوية بصورة خاصة .

مع وفد الفيتنام

كان وفد الفيتنام اكبر الوفود التي اقلها القطار الى بكين ، وكلهم شباب متحمسون لثورتهم على الاستعمار الافرنسي ، ولم تهدأ حيويتهم في هذه الايام التسع. وهم يعشقون الموسيقى والرقص وكانوا يقيمون الحفلات في جميع المحطات ، وشاركهم فيها بعض ابناء البلاد . وقد اعجبنا بثقافتهم وتفهمهم للأحـــداث السياسية وبخاصة قضية تحرير بلادهم ، وعقدنا معهم اجتماعاً طويلاً حدثنـا فيه رئيس الوفد عن الحركة الوطنية في الهند الصينية وهذا حديثه:

في ٩ اذار سنة ١٩٤٠ احتل اليابانيون الهند الصينية بعـــد اتفاقهم مع الافرنسيين ، وجلوا عنها في ١٩ آب سنة ١٩٤٥ عقب انكسار جيوشهم في منشوريا . وقد مهّد انسحابهم لقيـام ثورة تهدف الى تحرير البلاد نهائياً من قيود الاستعمار الاجنبي .

وفي اسبوع واحد تألفت القلوب على هذا الحكم الشعبي الذي امتد نفوذه الى اللاووس والكمبودج المقاطعتين المتممتين لكيان الهند الصينية . وبدأت حركة الانصار بقيادة الزعيم «هوشي منه» وانتشرت تمهد لقيام الجمهورية الشعبية التي اعلن تأسيسها في ٢ ايلول سنة ١٩٤٥ .

وبعد تأسيس حكومة الشعب جرت انتخابات عـــامة في ٦

كانون الثاني سنة ١٩٤٥ اشترك فيها الرجال البارزون، وانتخبت الجمعية الوطنية التي كانت مهمتها وضع دستور جديد للبلاد .

وتظاهر الفرنسيون بتأييد هذه الحركة في اول الامر ، ولكنهم عادوا لمهاجمة جنوب الفيتنام بمساعدة الانكليز . وبدأت حركة المقاومة . وكانت الحكومة الشعبية تكتفي حينئذ بتقديم المساعدات للانصار ، وكان الشعب جميعه وراء الحركة يؤازرها ويغذيها بالعتاد والرجال والاطعمة . واتخذ الانصار لهم شعاراً خالداً « الجنوب يخص ابناء الجنوب » وعلقت الجمعية العمومية على واجهة البناء الذي كانت تعقد فيه اجتماعاتها وتشرف منه على تنظيم المقاومة . اما في الشمال فقد جاءت اليه فرق من جنود شان كاي شك باسم تحرير الفيتنام من اليابانيين ، وكانت غايتهم الحقيقية مقاومة الحكم الشعبي ولكنهم فشلوا امام يقظة الشعب ثم اضطروا الى الانسحاب .

وفي سنة ١٩٤٦ هاجم الافرنسيون هذه البقاع من مرفأ هاينونغ بالدلتا في حين كان النضال على اشده في الجنوب . وكذلك حاولوا التدخل في وسط البلاد من ناحية البحر لشلّ حركة المقاومة النامية ومعهم بعض الافرنسيين الذين كانوا انسحبوا الى الصين ايام الاحتلال الياباني ، ثم عادوا ليشتركوا في استعمار البلاد ثانية .

وفي هذه الفترة العصيبة اصدر الزعيم « هوشي منه » نداءه التاريخي الى الشعب وقد دعاه فيه الى المقاومة ، وكان هذا النداء الصرخة الاولى في وجه الاستعمار ومن اجل تحرير جميع البلاد .

لقد ارتكب الافرنسيون كل الفظائع واحرقوا القرى وهدموا السدود لاغراق المزارع وتعطيل انتاجها ، وقطعوا رؤوس الشباب ورموا الكنائس بالقنابل المدمرة ، وقتلوا الكهنة واحرقوا الاطفال واجبروا الامهات على إلقاء الرضع في الانهر ، ودمروا البيوت والمدارس بالقنابل المحرقة . وقد اثارت هذه الفظائع حقد الشعب واضرمت حماسته ، وانتفض الرجال والنساء حتى والاطفال لمقاومة هذه الوحشية التي يندى لها جبين الانسانية.

وتدخلت اميركا بعد ان استفحل الخطر على الافرنسيين فأقيم تعاون بين الشعب والافرنسيين في سنتي ١٩٤٩ و ١٩٥٠ ، ولكن الاميركيين كشفوا اخيراً قناعهم وبدا تدخلهم السافر للتسلط على موارد البلاد الغنية ، فكان المطاط تحت تصرفهم . ووضعوا ايديهم على اكثر الاسهم في مناجم القصدير ، وحاولوا ان يتسلطوا على مناجم الفحم ، فعادت حركة المقاومة الى الاشتداد والنمو ، واقيمت في سنة ١٩٥٠ سلطات محلية تنظم الشؤون . وامتدت الثورة اللاهبة الى اللاوس والكمبودج ، فكان لكل من البلدان الثلاثة جيشه الخاص وتشكيلاته الحكومية الخاصة به . واهتم الفرنسيون في الاحتفاظ بمناجم الفحم والدلتا الشمالية ومناطق المطاط والارز في الجنوب ومناطق البن والمواقع الاستراتيجية في الوسط ، ولكن الانصار زادوا من مقاومتهم واقاموا التحصينات القوية في كثير من القرى واحسنوا تنظيم الحكم الشعبي ووسعوه .

وبعد التصديق على الدستور الذي اقرته الجمعية العمومية

المنتخبة اعترفت الصين الشعبية والديموقراطيات الشعبية بالحكومة الجديدة ، وتم توزيع الاراضي على الفلاحـــين ، فزاد الانتاج وانتظمت شؤون البـــلاد على أساس حكم الشعب ومقـــاومة الاستعمار .

كانت جيوش الفيتنام الوطنيةتقاتل بقيادة الجنرال جياب وهو استاذ للتاريخ في مدرسة ثانوية تكشفت كفاءته اثنـاء تنظيم حركة المقاومة ، وهكذا تخلق الحاجة الرجال وتنظم الأمم . وقـــد اتسعت الحركة الوطنية، وكانت قد بدأت بنضال ثمانين رجلاً من احرار البلاد واصبحت اليوم تشمل اكثرية الشعب المطلقة وعلى رأسهم العلماء والادباء وفي صفوفهم النساء والاطفال .

ومـا تزال اميركا تحلم بوضع يدهـا على الثروة الكبيرة التي يملكها شعب الهند الصينية . فهي تساهم بنصف نفقات هذه الحرب الطاحنة التي تشنها فرنسا ظلماً وعدواناً . ولكنها افادتنـا ايضاً بتدخلها غير المباشر كما افادت الصين الوطنية، فان معظم الاسلحة التي نقاتل بها عدونا انما هي من هذه المساعدات التي تقدمها اميركا للغزاة المستعمرين . ونحن نملك في الغابات بعض المصانع الصغيرة التي تغذي العصابات المنتشرة في جميع البلاد وتؤمن حاجاتهـــا السريعة من الاسلحة الخفيفة والذخائر .

وقد صادرت السلطات الوطنية في المناطق المحررة جميــــع اراضي الاقطاعيين والخونة والانتهازيين الذين تعاونوا سابقاً مع اليابانيين والافرنسيين وجنود شان كاي شك ووزعتهـــا على الفلاحين . وكذلك وزعت جميع الاراضي التي تملكها الدولة في الاصل . وجميع هذه الاراضي توزع الآن من قبل الجمعيـــات

التعاونية ، والعمل فيها مشترك وقائم على التعاون المحلي وتقسيم الانتاج بين الفلاحين .

وتعمل السلطات جادة لمحو الأمية . فقد تم انقاذ ١٤ مليوناً من ٢٧ مليوناً من الجهالة والأمية ، وتعلم هؤلاء جميعهم القراءة والكتابة. ويقوم الانصار الى جانب نضالهم ضد العدو المشترك، بتدريس ابناء الشعب في المدارس المسائية . وقد تعممت هذه المدارس في القرى والجبال حيث يرابط الانصار ايضاً .

واتسعت حركة المقاومة كثيراً ، واصبحت الفكرة ايماناً لا يتبدل وعقيدة لا تتزلزل . وللنساء نصيب وافر من شرف هذا النضال ، ففي فرق الانصار تعمل النساء في الجبهة وفي المؤخرة. وفي جميع مناطق الاحتلال الافرنسي منظمات قوية تتعهد تنظيم الانتاج والتمريض والتربص للعدو في الجبهات العديدة . وقد انضم الى حركتنا كثيرون من اهالي شمالي افريقيا والألمان والسنغاليين فرحبنا بهم وهم يعملون اليوم معنا بصدق واخلاص . والسلطات الوطنية لم تغفل عن واجب إعداد الشعب في جميع نواحي الحياة ، لهذا انشأت جامعة في المناطق المحررة تضم كليات عديدة للطب والصيدلية والهندسة وصناعة المواصلات والمعادن . وهكذا نعمل جاهدين في جميع الميادين ، وقد اقمنا المستشفيات والمدارس والدور الكثيرة للعناية بالاطفال . والادارة تنتظم ويعمل كل منا واجبه ويرتفع مستوى الشعب .

لقد قررنا ان نعيش احراراً في بلادنا . ونحن نقدر التضحيات التي تتطلبها الحرية ، ولكننا سنكافح وسنناضل مع جميع الشعوب من اجل الحرية والسلام في العالم .

بكين العاصمة الجديدة للصين

في الساعة العاشرة من صباح يوم ٢١ ايلول سنة ١٩٥٣ وصل قطار السلام وهو الاسم الذي اطلق على القطار الخاص الذي اقلّنا من الحدود عبر الاراضي الصينية، الى محطة العاصمة التاريخية بكين . وكان في انتظارنا نائب رئيس منظمة الشبيبة الصينية وبعض الاعضاء مع جموع غفيرة من الطلاب والفتيات ، وفي ايديهم باقات الزهر ، ومن حناجرهم كانت تتصاعد الأناشيد والهتافات. وما إنهدأت حركة القطار حتى هاجمت الفتيات عربات الوفود وتوافدن على أعضائها يحملن اليهم تحية الشباب الصيني بحماسة لا نظير لها وعاطفة كريمة متدفقة . وتراكضت الفتيات تختص كل واحدة بضيف توليه من براءتها حناناً ومن عاطفتها شذا عطر محبب من الالفة والود . ولم تنقطع الاناشيد والهتافات حتى وصولنا الى السيارات التي اعدت لنا من قبل . وكنا مشدوهين بهذا الاستقبال الرائع . واخترقنا شوارع المدينة بين هتاف الجماهير وترحيبها . وتفرق الشباب من اعضاء المنظمة على الدور التي خصصت للوفود يعرضون خدماتهم وما اعدوا لراحة ضيوفهم . وانتهينا من هذا المهرجان الى راحة مطلقة بعد سفر طويل .

وفي الصباح عرض علينا ممثل الشباب برامج الزيارات وطلب ان نبدي ملحوظاتنا في تعديلها او الزيادة عليها . وبعد الاتفاق على كل الاوليات من البرنامج بدأت زيارتنا في الطواف بشوارع المدينة الرئيسية . وفي اليوم الثاني كانت زيارتنا للقصور الكثيرة التي كان يسكنها الأباطرة في معزل عن الشعب .

فكرة عامة عن بكين

هي المدينة التاريخية التي كانت من قبل عاصمة الاباطرة واهملها شان كاي شك ايام حكمه المطلق ونقل دوائر الحكومة منها الى مدينة نانكين، لقربها من السواحل ومراكز الاتصال مع البعثات الاميركية التي كانت تسيطر بنفوذها على شان كاي شك وحكومته .

وقد شغل الاباطرة بقصورهم أكبر مساحة من المدينة واحاطوها بسور كبير ، واحاطوا السور بالنهر ليتقوا بها هجمات الشعب اذا ما فكر هذا الشعب المضطهد يوماً بمهاجمتهم وتقويض استبدادهم وسلطانهم الجائر .

هذه القصور منها ماهو رئيسي كان يسكنه الامبراطور وعائلته والمقربون والحرس ، ومنها ما أعد للهو والسفاهة على حساب الشعب الذي كانوا يسخرونه في تأمين هذا اللهو وتغذية هذه السفاهة .

وفي الضواحي كان الشعب يسكن في بيوت حقيرة لا تزيد على الطابق الواحد ويعشش فيها الفقر والجهل والمرض والحرمان

من الكرامة الانسانية .

عاش الشعب الصيني في الذل والمهانة والفقر مئات السنين كان الاباطرة فيها آلهة تحف بهم زبانية الشر من الكهنة والشياطين من الانتهازيين وجماعة الاسرار التي كانت تجثم على اكوام الافيون والمخدرات . وكان اولئك الذين استيقظت ضمائرهم وهلعت قلوبهم لمصير هذا الشعب الكبير قلة لا تملك القدرة على تغيير الاوضاع . لذلك لم يحاولوا جدياً تغييرها لانهم لم يكونوا يؤمنون بقدرتهم عـــلى اجراء هذا التغيير .

القصر الامبراطوري

هو القصر المركزي وأحد القصور الكثيرة المنتشرة في ساحة تبلغ ستة كيلو مترات مربعة عدا البحيرة . ويصل بين هـــذه القصور طرق وممرات تمتد على ضفاف البحيرة فرشت جميعهـــا بالاحجار ، ومنها الرواق الكبير ويبلغ طوله ٨٤٠ مـــتراً وعرضه ثلاثة امتار جميعها مسقوفة ،والسقف مزين بنقوش ورسوم زيتية تمثل حياة الاباطرة في مختلف العصور . وعلى جميع الطرق منافذ بلورية يرجح انها اقيمت للمراقبة .

والقصر المركزي ركيزة هـذه القصور التي لا يمـكن حصر عددها لكثرتهـــا او الاحاطة بمـا فيها من باحات وحدائق او التعريف عما فيها من زينة وزخارف استنفد الاباطرة في صنعهـا عرق الشعب وجهده ومعاشه ، وهو ايضاً قاعدة الحياة السفيهةالتي عاشها الاباطرة بمعزل عن مصالح الشعب والأمة والتي اورثت الذل

والفقر والتأخر للجماهير الكثيرة .

ثلاثة ايام متوالية قضيناها في زيارة هذه القصور المتناثرة اعطتنا فكرة عامة عن اسباب تغلغل الاستعمار في هذه البلاد وتمكنه من رقاب المئات من ملايين الناس . وكانت دليلتنا في هذه الزيارات فتاة مسلمة اتمت دراستها الثانوية وتثقفت في معرفة الاثار الصينية والتاريخ الصيني اسمها صالحة ساليكوس وهي تنوي الالتحاق بمعهد اللغات الاجنبية لتستطيع اداء عملها على وجه اكمل وتنصرف بعد ذلك الى التخصص في التاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الأثار .

ولعل من الفائدة ان نتحول الى وصف القصر الرئيسي فهو صورة مثلى لجميع القصور . وليس من اليسير ان نشغل القارىء بوصف كل واحد منها على حدة فجميعها تحتوي على ما يتشابه في البذخ والترف والسفاهة على حساب الفقير .

أنشيء القصر في سنة ١٧٥٠ وفيه ثلاث قاعات رئيسية ، الاولى وهي القاعة الرسمية وتقع في الصدر ، وعلى يمينها قاعة اطالة الحياة ، وفي اليسار مكتب الامبراطور الشخصي ومنه يشرف على المؤامرات التي كانت المظهر الصادق لحياة الدولة في العصور الغابرة .

وقد زينت القاعة الرئيسية بلوحة تمثل حياة الاباطرة اليومية ، وهي نسيج من الحرير صنع باليد ويمتد عمرها الى مائتي سنة ، ومخطط نافر لصور اجزاء القصر والبحيرة التي حفرها الاباطرة للنزهات وحماية القصور ، ومرآتان كبيرتان صنع اطارهما من

خشب الابنوس المخـــرّم . وفي المدخل مبخرتان من النحاس مطليتان بالذهب وعليها نقش فني رائع رسم فيه التنين المقدس . وفي القاعة عرش مصنوع من الابنوس المعطر تظلله مروحــة صينية قديمة . وفي السقف المزين ثريا اثرية تحيط بهـا شمعدانات خشبية في غاية الفن والابداع .

وتقع قاعة اطالة الحياة على يمين الصالة الرئيسية وتسمى ايضاً قاعة المناجاة ، وهي مخصصة لنزهة الامبراطور ومناجاة الطبيعة في ليالي القمر . والقاعة بذاتها تشكل عالماً مستقلاً يمثل كل سفاهة الاباطرة .

وبالقرب من القصر الرئيسي شيـد قصر الامبراطورة الوالدة ضمن حديقة واسعة زينت بالمقاصير الكثيرة ، بينها بحيرة صغيرة ملئت بالاسماك للصيد والنزهة وتأتيها المياه من ينبوع قريب في الجبل . وكل مقصورة تمثل عالماً خاصاً في الترف والبذخ . فجميع المفروشات من خشب الابنوس الثمين ، وفيها المراوح الكثيرة من ريش الطيور نصبت فوق مقاعد الاستراحة . ويوجد امام القصر مسرح خاص بالامبراطورة تقام عليه الحفلات الخاصة التي تمكن مشاهدتها من هذه المقاصير الوفيرة .

وفي القاعة الرئيسية من هذا القصر عرش قائم على منصة من الآبنوس المعطر . وامام المدخل حاجز مفصّص . وفيها خزانة اثرية للثياب واخرى للزينة ومباخر وثريات وشمعدانات اثريــة كلها بالغة الفن والابداع في الصنع . وفي الخلف ممر يتصـــل بالقصر الامبراطوري ومنه يحضر الامبراطور لزيارة والدتـه .

وفي قاعة المنامة رسم مكبر للامبراطورة الوالدة ، وقد نقش على اطاره الفخم كتاب الامبراطور لوالدته . وتوجد ايضاً ثريا اثرية مزينة بالاحجار الثمينة تمثل الطيور والاسماك والاشجار .

ويصل البحيرة بالقصر الرئيسي ممرات بين القمم تحيط بها اشجار حرجية تشكل في مجموعها مناظر خلاّبة . ولكل قصر ميناء على البحيرة . وفي القرب من الضفاف بعض الهضبات الاصطناعية اقيمت من أتربة البحيرة عند حفرها واكبرها قمة التأمل ، وعليها اقيمت القاعة المخصصة لرئيس كهنة التيبت في ايام زيارته للامبراطور وفيما عدا ذلك للمراقبة .

حديث مع رئيس الوفد الهندي

كنا على موعد مع رئيس الوفد الهندي وهو شاب من مقاطعة حيدر آباد في الخامسة والثلاثين من العمر يحمل شهادة الليسانس في الاقتصاد السياسي ، ويتقن اللغة الانكليزية ويتمتع بحظ كبير من الثقافة .

كان حديثه عرضاً عاماً لوضع الهند سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ، وقد بدأه بمقدمة وجيزة عن تاريخ الهند منذ ان دخل الاسلام اليها عن طريق السلطان محمود الغزنوي سنة ١٠٠٥ م وهو مشهور في التاريخ الاسلامي .

بعد ان اتسع انتشار الاسلام في ربوع الهند وفي فترة مديدة قامت بين المسلمين والهنود وحدة وطنية ما كان ليعكر صفوها الا مطامع الامراء والمهراجات، وسادت لغة الاردو وهي مزيج من الهندية والفارسية واللغة التي يتكلم بها المسلمون اليوم .وظلت ابلغ صور الوحدة الوطنية وقوتها امام الاستعمار .

وقبل مئتي سنة بدأ الاستعمار الانكليزي تدخله في شؤون الهند باسم حماية الشركة الانكليزية المعروفة جيداً في تاريخ الاستعمار البريطاني، وتوسعت الشركة في اعمالها خاصة في مد الخطوط الحديدية والتجارية الخارجية . وساعدت الخصومات

الدائمة بين الامراء على تغلغل الانكليز وسيطرتهم وبسط نفوذهم . واخيراً وضعوا حمايتهم على الامراء والمهراجات وألهوا هؤلاء بمظاهر سخيفة كانوا يهتمون بها اكثر من اهتمامهم بمصالح شعوبهم التي كانت تضيع في مستنقعات الانانية وحبائل الاستعمار . ولم يخل ُهذا العهد من حركات المقاومة ، وتطلع الاحرار الى انقاذ بلادهم من ويلات هذا الوضع الشائن ، وكانت صيحات هؤلاء المخلصين تضيع في انكماش الامراء والمهراجات عن الاصغاء الى صدق الدعوة . بل انهم تمادوا في مقاومتها وساعدوا المستعمرين في اخمادها حتى سنة ١٨٥٧ حيث كانت انتفاضة الشعب بل ثورته العنيفة ضد الاستعمار الانكليزي. ولكنها لم تنجح كما كان مرجواً لها لانها لم تنظم كما ينبغي ، ولأن عناصر المقاومة لم تتماسك جميعها في انحاء البلاد الواسعة ، وظلت تستفيق وتخبو كحركات متفرقة يسهل على المستعمرين اخمادها في اول ادوار نشاطها .

وما كان الانكليز ليغفلوا عن النتائج لو ان النجاح كان حليف نضال الاحرار، ولهذا توسلوا بجميع الاسلحة المادية والمعنوية لتنمية روح الرجعية وبعث التقاليد واثارة الفتن الطائفية، وتفننوا في تطبيق الاساليب للقضاء على روح المقاومة الشعبية . فلجأوا الى الاقطاعية وساوموا في تهدئة الخلافات التي كانوا يثيرونها عند الحاجة بين امراء الهند ومهراجاتها .

وبالرغم من كل ذلك فقد كانت طلبات الاحرار بالاصلاح تتوالى، وروح المقاومة تتصاعد عند الجماهير. وكثيراً ما كانت هذه الطلبات تتسم بطابع الشدّة او تنقلب الى عداء سافر ضد

السلطات الاستعمارية . فعمل الانكليز على خلق حزب المؤتمر في سنة ١٨٨٩ وظنوا انهم سيوفقون عن طريق الحزب الى تخدير الاعصاب وقتل الحركة في مهدها ، ولكن حزب المؤتمر لم يأخذ مصلحة الانكليز اساساً لنشاطه : بل انه اتخذ قراره التاريخي سنة ١٩٢٩ في حق الهند بالاستقلال التام وكان قراره اجماعياً .

وكان الباعث لهذه الحيوية الجديدة والعامل الاقوى في نمو الروح الوطنية في الحزب وفي اوساط الشعب هؤلاء الشباب الذين اتموا دراساتهم في اوروبا وانكلترة بصورة خاصة ثم عادوا الى بلادهم متأثرين بأجواء الحرية والكرامة الوطنية التي كانت تعيش اوروبا في ظلالها ، وكان اكثرهم من الطبقة الوسطى ومنهم كان غاندي ونهرو .

وكان غاندي قد سافر الى جنوبي افريقيا بعد ان اتمّ دراسته في كلية الحقوق ، وتطوع للدفاع عن العناصر الوطنية التي كانت تقاوم الحركة العنصرية . واشترك هو نفسه بمحاربة العنصرية جهاراً ، ثم عاد الى الهند يحمل روحاً جديدة في النضال الذي تولى قيادته فيما بعد، واعلن وجوب العمل من اجل حرية الهند جميعها . وكانت خطته التي عُرف بها ، وهي اللاعنف ، لا ترضي اكثرية المناضلين ، وكان هؤلاء يقولون بالثورة الدامية .

ولكن الجماهير قبلت قيادته بحماسة ، وسيطر بفكرته على جميع الاوساط . واجتمع حوله الشباب والعاملون . واضطربت انكلترا كثيراً لهذا اللون الجديد من اعمال المقاومة للاستعمار . وكسب غاندي الرأي العام في العالم بسهولة . واحرج ذلك موقف

انكلترا كثيراً .

كان محمد علي جناح عضواً في حزب المؤتمر ومن العاملين مع غاندي ونهرو من أجل استقلال الهند وحريتها . ولما اشتد ساعد الوطنيين ، وساعدت وحدة صفوفهم على تقدم الحركة الاستقلالية طلع محمد علي جناح بفكرة استقلال المسلمين في المنـــاطق التي يعيشون فيها باسم الباكستان. وقد راقت هذه الفكرة للمستعمرين ووجدوا فيها عوناً على تفريق الكلمة وضعف المقاومة ، وظنوا انها ستلهي الهند عن اهدافها الى أمد ، فأقبلوا على هذا الاقتراح وايدوه بقوة. ولهذا نعتقد نحن الشباب الاحرار ان محمد علي أخر حل القضية الوطنية حلاً وطنياً ، وكنا نؤثر ان نخرج الانكليز من البلاد تحت تأثير قوة الوحدة الوطنية . وما هذه الحلول التي قبلها الانكليز إلا الصورة الصادقة لما نتخوف منه . فالتفرقة بين ابناء الوطن الواحد هي التي خلقت قضية كشمير واوجدت الحذر ، وكل هذا يعوق نهضة الهند وتنظيم اقتصادياتها فالشركات الانكليزية ما تزال تستثمر البلاد في ظل هذا الاستقلال الناقص وما تزال تمتص ثروتها . والوضع السياسي ما يزال ضعيفاً بالنسبة الى فكرة الأمة المستقلة .

اما حزب المؤتمر فبالرغم من عدم نجاحه في معالجة شؤون الهند الداخلية كما يريد المخلصون فهو ما يزال جماهيرياً يتمتع بنفوذ كبير لأن تاريخ هذا الحزب مرتبط بتاريخ النضال الوطني ، وإن كان زعماء الحزب يضعفون عند اشتداد الأزمات ويلجأون الى المساومات التي تنتهي كثيراً بغير ما يتفق مع مصلحة البلاد ، بل

تفضي احياناً الى إضعاف البلاد وهدم ثقة الجماهير .

وقد اوجد محمد علي بعد انفصاله عن حزب المـــؤتمر منظمة الرابطة الاسلامية وجعل شعارها استقلال المسلمـين . واستثمر الانكليز هذه الحركة كثيراً وارسلوا في غالب الاحيـــان اناساً مأجورين من قبلهم ليذبحوا البقرة في الاحياء الهندوسية ،والبقرة عند هؤلاء مقدسة ، وهكذا كانت تثور ثائرتهم وتقع المجازر التي تنتهي بضحايا كثيرة يصل عددها الى الآلاف، والانكليز ينظرون الى كل هذا من بعيد ويضحكون. وأغرى الانكليز بعض السفهاء بتوسيع دائرة الاجرام وغذوا حركة المذابح الطائفية بين السكان خاصة في سنتي١٩٤٦ و ١٩٤٧ .

ولا يجهل احد واقعية السياسة الانكليزية ومرونتها عنـــد الحاجة. ففي سنة ١٩٤٢ اشتدت الحركة الوطنية وقويت الفكرة الاستقلالية ، ونما الجناح اليســاري في حزب المؤتمر ، واستمر النضال في الفترة الطويلة بين سنتي ١٩٤٢ و ١٩٤٦ ، واضطرب الاستعمار ، وخشي الانكليز على كيانهم حين تحرّج موقفهم في اوروبا وآسيا معاً . ولكن ما ان تبدل وجه الحرب وهدأت اعصاب البريطانيين وخفّت اعباء الحرب عن كواهلهم حتى عادوا الى سيرتهم الاولى وريائهم المعروف .

ولم يتخلّ حزب المؤتمر عن المطالبة بوحدة الهند.وثابر الانكليز على تدخلهم بين المسلمين والهنود بعناد ، ولكن الفكرة الاستقلالية كانت قد تبلورت واصبحت عقيدة كل هندي . وفي ٢١ شباط سنة ١٩٤٦ قام البحارة الهنود بتمرد مسلّـــح ضد

الانكليز، وكانت هذه الحركة اصدق اللغات التي يفهم بها البريطانيون صفة الارادة ومنهاج العمل الوطني ، فتأثرت اعصابهم واعلنوا موافقتهم على قيام دولتين هما الهند والباكستان ، واضطر حزب المؤتمر الى الموافقة على ذلك لأن الغاية الأساسية هي ان ينتهي الاستعمار البريطاني ولا يعسر بعد ذلك ان يتفاهم ابناء الوطن الواحد على اشكال الحكم وتنظيم العلاقات الاخوية .

جاءت حكومة العمال بعد انتخابات قاسية في نتائجها على تشرشل وامثاله من غلاة الاستعمار ، ووجدت نفسها امام وضع جديد يتطلب سياسة جديدة ، ولكن الخلق الاستعماري هو اساس في نفسية كل بريطاني . لذلك لم يستنكف هؤلاء ايضاً عن المراوغة المعتادة ومحاولة الايقاع بين المسلمين والهنود . ولهذا كان حزب المؤتمر حكيماً جداً في موافقته على قيام دولة الباكستان ، فقطع بذلك الطريق على المستعمرين ، وساعد على نجاح المفاوضات التي انتهت باعلان استقلال الهند دولة جمهورية ديموقراطية ذات سيادة ، وكان ذلك سنة ١٩٤٧ . ثم حاول الانكليز التشويش على الحكومة الوطنية لحداثة عهد رجالها في الحكم ، وشجعوا الممالك الصغيرة على الانفصال ، ولكن هذه الحركة قضي عليها ايضاً .

ثم انتخبت الجمعية العمومية ، ووضع دستور البلاد . وكانت الجمعية واحدة اول الامر ثم تحولت الى جمعيتين هندية واسلامية . ونص دستور الهند على ان البرلمان هو الذي يعين سياسة الحكومة الخارجية ، ويعني ذلك علاقة الهند بالكومونولث . ولم توفق

الباكستان الى وضع دستورها حتى الآن .

وفي سنة ١٩٥١ وسنة ١٩٥٢ جرت الانتخابات العامة وانتهت بنجاح الاحزاب الرئيسية الثلاثة : حزب المؤتمر والحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي . وبقي حزب المؤتمر على سيطرته وقوته ، ولكن المعارضة تنمو وتتسع كلما تمادت حكومة حزب المؤتمر في تقاعسها عن القيام بمهمتها كحكومة مسؤولة عن تحسين وضع البلاد اقتصادياً واجتماعياً . وتأخذ المعارضة اليوم شكل جبهة وطنية ينضم اليها جميع المثقفين الوطنيين، وشعار الجبهة توزيع الاراضي على الفلاحين وتلبية مطالب العمال وتحسين حالتهم ، ومقاومة النفوذ الاجنبي والبضائع الاجنبية ، والعمل من اجل استقلال صحيح يؤمن العلم والصحة والعمل، ويحقق الضمان الاجتماعي للجميع .

ولا تأخذ الجبهة على نهرو شيئاً في سياسته الخارجية ولا تحرجه كثيراً . وتعتقد الجبهة والوطنيون والديموقراطيون التقدميون ان شخصية نهرو ضرورة لا بد منها لحفظ الجبهة الوطنية من التصدع، ولأنه يسير في سياسته الخارجية على قاعدة توافق عليها جميع الهيآت وهي السياسة القائمة على الايمان بالسلام وتأييد الشعوب التي تتطلع الى حرياتها السليبة . وتكاد تنحصر هذه الثقة بشخص نهرو . ولكن حزب المؤتمر يستفيد من هذا التأييد . ويعزز هذا الموقف تناقض السياسة الاميركية والانكليزية حيال الهند وآسيا كلها .

ولقد أثر تطور الصين في زيادة قوة التيارات الوطنية وجعلها

جارفة يقودها الشباب اليوم ضد الشركات الاجنبيـة والرأسمال الانـكليزي المسيطر على مرافق البلاد . ويسوء الاوساط الوطنية هذه المشاركة التي لجأ اليها الانكليز بينهم وبـين اغنياء الهنود ليطمئنوا على بقائهم مسيطرين في هذه الدنيا الواسعة والغنية معاً. ولم يوفق الاميركيون في زحزحة الشركات الانـكليزية حتى الآن، وها هم يعيدون التجربة في الباكستان .

ويسوء احرار البلاد ان يجمد حزب المؤتمر في الاصلاح الداخلي. فالوضع الحاضر لا يتفق مع آمال الشعب واهدافـه ، والبطالة منتشرة ، والاقطاعية ما تزال على قوتها وجورها ، والضرائب باهظة ، والشركات الاجنبية والرأسمال المشترك يستثمران آلام الناس بطمع ووحشية. وفي البلاد مائة الف من الشباب المتخرجين لا يجدون عملًا في حين ان البلاد تحتاج الى هؤلاء في المشاريـع الكبيرة الواجب تحقيقها في جميع الحقول . والنضال الشعبي على اشده بين الفلاحين والاقطاعيين . ويعمـل الحزب الشيوعي في صفوف الفلاحين ،وتعاون الهيئات الديموقراطية حركتهم الجديدة وتبذل الجهود لتنظيم العمال في نقابات ، وتجمع صفوف الشباب وتعقد لهم مؤتمرات اشتراكية لتعريف الوضع الاقتصادي العام الذي يتخبط في ظلمات كثيرة ، وتساعد على تخفيف اضرارها .

اما في الباكستان فيبدو ان الاميركان وفقوا الى السيطرة على مرافقها وتوجيه ساستها نحو الديكتاتورية . والحكومة هناك تضطهد الاحرار والطلاب وتقود البلاد نحو رجعية مخيفة ، فـلا دستور ولا معارضة مشروعة في الباكستان حتى اليوم . ورغم

كل هذا فالحركات الوطنية في الهند والباكستان معاً هي اقوى من التيارات الدينية التي يحاول الاستعمار اثارتها واستغلالها في البلدين . ويمكن القول ان الحالة تسير من سيء الى اسوأ في الاصلاح الداخلي . واذا كان هنالك من مظاهر ففي انشاء الطرقات وتأمين مصالح الشركات. والسياسة الاستعمارية تستخدم مشكلة كشمير في توسيع شقة الخلاف بين البلدين لتعويق الاصلاح المنشود .

مشكلة كشمير

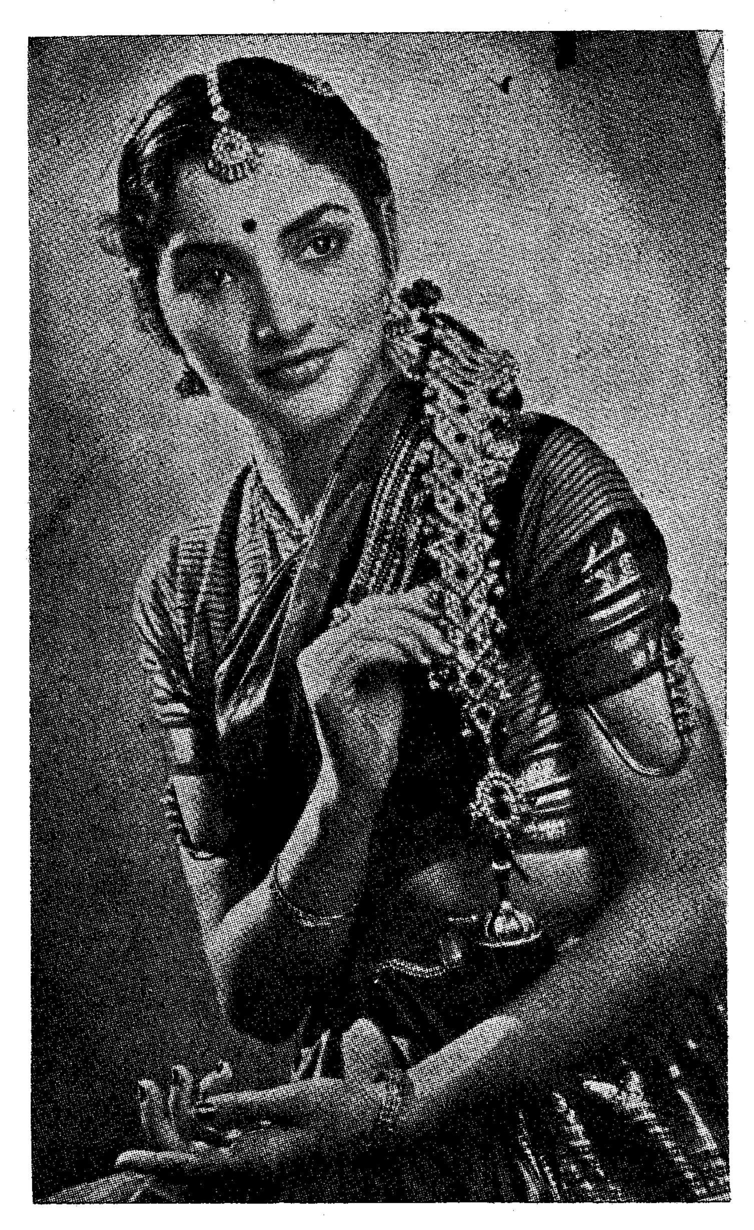
تكاد تتفق آراء الجميع من هنود وباكستانيين على فكرة الاستفتاء الحر لحل قضية كشمير ، وان الشعب فيها هو الذي يقرر مصيره وهذا ما لم يتم حتى الآن. ويقولون ان يد الاستعمار تلعب لعبتها في ذلك لأن الخلاف حول المقاطعة هو الثغرة الواسعة التي تمكن الاستعمار من التدخل في سياسة البلد ، ولا يتم هذا الا بتشجيع هذا التنافر القائم بينها . وكشمير من اغنى مقاطعات الهند بالمعادن ، وتملك احسن الاراضي واغنى الموارد الزراعية . ولأهلها تاريخ حافل في ساحة النضال الوطني . والمسلمون وهم اكثرية السكان كانوا في جميع الظروف يؤيدون وحدة الهند ويعملون مع اخوانهم الهندوس في سبيل الاهداف المشتركة .

وكان بحث هذه القضية على صعوبته من أحسن الفرص لجمع اعضاء وفدي الهند والباكستان، وكلهم شباب تقدميون ينظرون الى قضيتهم الوطنية بمنظار بعيد عن مؤثرات التقاليد التي تعوق

نهضة بلادهم . وقد رجوناهم ان يدلي كل منهم برأيه بصراحة تامة وما يراه لحل هذه القضية المعقدة. فكان جواب العضو الباكستاني هرون احمد اكثر اخلاصاً لفكرة الوحدة الوطنية والتقدمية التي يؤمن بها فقال : « اذا كان تحرر كشمير من الاستعمار يقضي بالحاق كشمير بالهند فلا ضير علينا نحن الباكستانيين في هذا لأن إبعاد الاجنبي عن التدخل في شؤون البلدين هو الذي يحقق استقلالها الصحيح، وعندئذ لا يصعب التفاهم بين اخوين فرقهما الاستعمار . اما رئيس الوفد الهندي فقد كان جوابه مائعاً وان قال بالاستفتاء ، ولكن لهجته لم تكن تعني هذه الصراحة التي تكلم بها الشاب الباكستاني هرون احمد .

وفي هذا المجلس كانت فتاة هندية على جانب كبير من الثقافة الرفيعة . ولم تنقطع ، بالرغم من انها راقصة عالمية شهيرة ، واسمها اندراني ، عن كتب الادب والتاريخ . وهي تحتفظ بذهن نير وتناقش بادب جم ، وقد سألناها رأيها في هذه المشكلة التي يهتم لها جميع ابناء الهند والعالم الاسلامي والشرقي .

وكان الحل الذي ارتأته ان تلتحق الاكثرية الاسلامية بالباكستان والاقلية الهندية بالهند، وهكذا تحصل الهند على اهم المواقع الاستراتيجية فتأمن على حدودها، وبهذا ينتهي الخلاف .



الراقصة الهندية اندراني

مع وفد الباكستان

المتحدث هو هرون احمد الطالب في الصف الاخير بكلية الطب في كراتشي . شاب مثقف وديع ومخلص لفكرته . نشأ في محيط الفقراء ، وتساعده الجامعة بأن تحسم له نصف المتوجب اداؤه من الرسوم . ابوه عامل في مصنع نسيج ، واخوه يدرس في كلية الهندسة . تقدمي في افكاره وهو بتأثير محيطه أميل الى الشيوعية في عواطفه شأن جميع الفقراء في نقمتهم على الانظمة الرأسمالية . وهذا حديثه :

في سنة ١٩٤٧ تم انفصال الباكستان عن الهند بعد جهاد طويل واتحاد بين الاحرار الهنود والمسلمين لتحرير البلاد من سيطرة الاستعمار الانكليزي واذاه . ولا اعتقد ان الباكستانيين وفقوا في تحقيق اغراض الاستقلال .

فالاقطاعية هي النافذة، وهي صاحبة الكلمة الاولى والادارة العليا . ولا يجب ان تغرنكم الظواهر او تأخذوا بما ينشر عن الباكستان، فالبلاد التي حكمها الاستعمار طويلاً وحرمها من التعليم والصحة والعمل المنتج لا يجوز ان تنفق خمسين بالمائة على اغراض التسلح وواحداً بالمائة على الصحة العامة او التعليم . فهذا الشعب تعيش اكثريته في فقر مدقع وتعلمون اننا نحتاج الى القمح في كل

عام لان حكوماتنا تلهو عن معالجة الجفاف بتحقيق مشاريع الري التي تكفل احياء المزروعات وتضمن كفاية انتاجها لجميع المواطنين . ولدينا ثمانمائة الف من العمال اكثرهم عاطلون عن العمل . ولدينا أربع جامعات في لاهور وحيدر اباد وبشاور وكراتشي ، ولكن شبابنا يعاني ازمة المتخرجين بشكل مخجل ومؤذٍ في آن واحد .

ارجوأن تلاحظوا معي جيداً لتجدوا ان اكثر القادة الشرقيين كانوا من المبرزين في كفاحهم ضد الاستعمار ، ولكن احداً منهم لم يثبت اهليته وكفاءته في الحفاظ على هذا الاستقلال ولم يعمل جدياً في تحقيق اغراضه واصلاح البلاد وتنمية اقتصادياتها كما ينبغي .

وانظروا بتمعن وتجرد الى السجون كيف ملأتها السلطات بالشباب والطلاب ، وليست السجون مكانهم وانما هي للمجرمين . ولكن هؤلاء الشباب لم يتخلوا عن اهدافهم ، فاما ان تنتصر الحرية ويتقدم شعبنا نحو الحياة الكريمة ، او تنتصر الرجعية الممثلة بهؤلاء الحكام الوصوليين . انهم ويا للأسف ينجرّون وراء السياسة الاستعمارية دون وعي ومعرفة بحقيقة واقعهم ، ويجهلون ان اسيا تتحرك للخلاص ونحن نعود الى احضان الاستعمار بارادتنا .

ليس اهون من حل قضية كشمير اذا ابتعد ساستنا عن دائرة النفوذ الاجنبي . فالهنود اخواننا في القومية ولا يصعب التفاهم معهم على حلول صادقة ، ولكن اين هي الأيدي النظيفة ؟ يجب ان لا تحملوا حديثي على الضعف ، فالايمان يعمر قلوبنا نحن الشباب

ولكنكم اردتم الحقيقة وليكن ما اردتم، فهذه هي الحقيقة .

النشاط والعمل في مدينة اتبور

اينما مر القطار، كانت تبدو دنيا جديدة حافلة بالمشاريع الضخمة والنشاط والعمل في جميع المرافق الحيوية . وتكاد الصحارى الواسعة تتحول الى غابات غني فيها بالأغراس الكثيرة من صنوبر وسرو وشربين ستتحول الى ثروة خشبية لا تقدر بثمن . وتنظيم الري بتحويل الانهر، واقامة السدود، وتقسيم الاراضي لشتى انواع المحاصيل الزراعية والمراعي الخصبة ، وبناء منازل العمال حول المصانع المنتشرة التي يملأ دخانها الفضاء وتعمرها الآلات وتسيرها اليد العاملة المنتجة — كل هذا ينبيء عن حيوية زاخرة تتكشف عن عالم جديد يبني ويغرس في المدن والصحارى وعلى الانهر وفي المحطات . وفي كل بقعة من الارض تنتشر شعارات السلام في اعلى القمم والمنحدرات، وعلى ضفاف الانهر وفي المحطات الكثيرة، وعلى جدران البيوت . وكانت آخر محطة تنتهي عندها الحدود السوفياتية مدينة اتبور الجديدة ، وقد كانت في سنة ١٩٥٠ قرية لا تتجاوز بيوتها الثلاثة فقط ، اما اليوم فهي مدينة صناعية سكانها سبعة آلاف من العمال الذين لا يهدأون ، فهم يقيمون الابنية الجديدة ، ويخططون الشوارع الواسعة ، وينشئون المدارس وبيوت الاطفال والمستشفى والمدرسة الثانوية ذات الصفوف العشرة . وفيها تدرس الانكليزية والالمانية . والاطفال حولها وفي ساحات المدينة يملأون الدنيا بمرحهم ولهوهم البريء .

والمصانع الكثيرة تعج بالعمال ، والنساء يعملن في المكاتب والخدمات الاجتماعية ، والرجـــال يبنون ويعملون ويشقون الطرقات ويتحدثون عن الحاجة الملحة الى اليد العاملة .

تركنا المدينة ليلاً لنستقبل الحدود. وفي الضفة الثانية عـــالم جديد يختلف في مزاجه وطراز معيشته وتفكيره ووسائل نهضته والانظمة القائمة فيه اختلافاً بيناً عن كل ما رأينا . فلننتظر قليلاً ولنتقدم .

عاملة في مجلس السوفيات

في محطة قريبة من الحدود الصينية انضمت الى ركب القطار عاملة سوفياتية قدّمها المرافق باسم لينا كوفالدوفا النائبة عـــن مدينة كراستومارسك في جمهورية روسيا السوفياتية . تخرجت من المدرسة المهنية وهي تتابع اليوم دراستها العالية . عمرها ٢٧ سنة وتتناول الف روبل راتباً شهرياً من المصنع وستمائة روبـل من النيابة . ابوها وامها يعملان في المصنع الميكانيكي الذي تشتغل فيه ، وقد اشترك اخواها في الحرب الأخيرة فمات احدهما وفقد الآخر ذراعه بعد ان قدم خدمات ممتازة لوطنه ، وهي تعـود اليوم من عطلة لتنضم الى زميلاتها في المجلس وهن ٣٤٠ سيدة من مجموعة ٧٤٠ نائباً في مجلس السوفيات . تجتمع في كل اسبوع مع ناخبيها لدراسة احوالهم والتعرف على آرائهم ومطالبهم . تفوقت في العمل والدراسة وفي النشاط الاجتماعي ، وتعنى اليوم بتعليم العاملات في المدارس المسائية وتوجه ناخبيها لزيادة الانتاج وتحسين

احوالهم الاجتماعية .

ورقصتْ مع اعضاء الوفود وعمال القطار في حفلة المساء ، وتحدثت كثيراً عن نشاط العمال وزيادة الانتاج وتطبيق الاشتراكية . وكانت حماستها بالغة في تصوير الحركة النسائية ، وتطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية .وهي تقدمية في افكارها الى حد بعيد . وثقتها عظيمة بمستقبل العالم الاشتراكي .

حفلة في القطار

في المساء الاخير من حياة القطار أقامت الوفود حفلة ساهرة لتكريم عمال القطار تقديراً لجهودهم التي بذلوها لتأمين راحة ضيوفهم . وقد تبارى اعضاء الوفود في تعزيز الروح الديموقراطية التي سادت حياة الجميع في هذه الرحلة الممتعة ، وقاموا بخدمة الحفلة وتكريم العمال واشتركوا بتقديم البرامج الفنية. وانطلقت الهتافات والاناشيد الوطنية لتمجيد الصداقة بين شعوب العالم ، وتبودلت الهدايا الرمزية لتكون ذكرى الايام الجميلة عبر سيبيريا وفي ظل الحياة الاشتراكية .

مع وفد اندونيسيا

كأن هؤلاء الشرقيين قد اتفقوا فيما بينهم على صيغة واحدة لاحاديثهم عن الزعماء ورجال الحكم في بلادهم ، فهم يحمدون لهم مواقفهم في النضال ضد الاستعمار ويحملون عليهم لعجزهم عن تحقيق غايات الاستقلال . وكل هؤلاء الشباب متقاربون في تفكيرهم السياسي وفي طرق معالجتهم للمشاكل الاجتماعية . وكان رئيس الوفد الاندونيسي احد هؤلاء الشباب الذين تخرجوا من كلية الحقوق واندفعوا الى ميادين الحياة العامة يساهمون بحيوية وحماسة في مقارعة رجال الحكم الوطني الحجة تلو الحجة بان هؤلاء اخفقوا بعد ان تصدروا لمسئوليات الحكم ، ويصارحونهم القول بانهم يريدون وطنهم حراً من نفوذ السياسة الاجنبية، وينعون على هؤلاء ميوعتهم وانجرارهم وراء الاميركيين . ويأخذون عليهم اهمالهم للأصلاح الذي طالما كانوا من دعاته قبل وصولهم الى الحكم .

وقد حدثنا رئيس الوفد قال :

اندونيسيا مجموعة كبيرة من الجزر يسكنها شعب أسيوي تدين اكثريته بالاسلام، ويبلغ عدد السكان فيها الثمانين مليوناً حكمهم الهولانديون بالحديد والنار، وأشاعوا الفقر والجهل بينهم

واستذلوا النفوس ، وتنمَّروا كثيراً . ثم جاء دور الخـــلاص وانتهت شرورهم نسبياً عقب الحرب العالميــة الثانية وبعد نضال مرير .

لقد بدأت يقظة اندونيسيا في سنة ١٩٠٥ ، ثم تشكلت رابطة الشبيبة في سنة ١٩١٣ تحت تأثيرات داخلية وخارجية اهمها دراسة الشباب في معاهد العلم الاوروبية واحتكاكهم بالشعوب وتعرفهم على معاني الحرية وكرامة الأنسان . وكان لانتصار اتاتورك في حرب الاستقلال وهزيمة الاستعمار امام عزيمته الصادقة اثر كبير في نمو اليقظة بين جماهير الشعب وتوقد حماسته . ففي سنة ١٩٢٦ حصلت ثورة عمال سكك الحديد ، ولكــن السلطات الهولندية اخمدتها بقوة الحديد والنار ووحشية الغزاة ضد شعب اعزل من السلاح . وتحولت الاحزاب إلى السرّية وبدأت نضالها في تنبيه الشعب وتعريفه الى الاخطار المحيطة بمستقبله وتوضيح اغراض الاستعمار .

وفي سنه ١٩٣٥ دعا مؤسسو الاحزاب الى تشكيل جبهـة وطنية، وكان الرئيس الحالي سوكارنو منتخباً عن الحزب الوطني، وقد نفاه الهولانديون . وفي سنة ١٩٤٥ بدأت الثورة ضـــد اليابانيين بسلاح اليابانيين وبالرجال الذين كانوا هيأوهم لاستخدامهم في توسيع فتوحاتهم . ونجحت الثورة وخرج اليابانيون والبلاد تغلي بفكرة الاستقلال التام .

واضطرب الاستعمار لهذه الحركة الواسعة ، وسارع الانكليز الى إرسال حملة عسكرية ساعدت الهولانديين على العودة لاحتلال

اندونيسيا ثانية ، وبذلك عاد الاستعمار من جديد وعاد واجب النضال . وفي هذه الفتره كان الشعب مسلحاً بما تركه اليابانيون ، فقاوم الغزاة ، وكانت مجزرة عامة قتل فيها الانكليز آلافاً من الشباب والنساء والاطفال ، وتعمدت مدينة سورابايا بنيران طياراتهم ومدافعهم، وكان ذلك اثناء انعقاد المؤتمر يوم ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩٤٥ في العاصمة جوكارتا . وسيبقى تاريخ هذا الحادث خالداً وشاهداً على وحشية الاستعمار الأوروبي .

وقد تأثرت الاعصاب بعد هذه المجزرة ، وانقسم العاملون الى راغب في المفاوضات ومصرّ على المقاومة ، ورجحت اخيراً كفة المفاوضات، وكان الاتفاق المعروف بين هولاندا واندونيسيا، وهو في نظرنا اتفاق غير عادل. وسنعمل على تعديله، وسنصر على الانفصال عن الاتحاد الذي اقره الاتفاق المذكور .

كان الهولانديون قد احتلوا جميع الجزر في سنة ١٩٤٨ ، ولكن اشتداد حركة المقاومة وتخوف الاميركيين من وقوع الحرب الثالثة في ذلك الحين حملهم على تعضيد قضية الاستقلال في مجلس الامن واقترحوا اجراء المفاوضات التي انتهت سنة ١٩٤٩ على الشكل الذي ذكرنا .

ولم ترض اكثرية الشعب عن هذا الاتفاق ، ولكن الاصابع الخفية كانت تلعب دورها . وضعف الزعماء عندنا ولذلك لم يوفقوا لابعاد هولاندا نهائياً ، ولم يوفقوا ايضاً في الحكم . وما يزال الشعب يرزح تحت وطأة النفوذ الاقتصادي الاجنبي الذي شمل جميع مرافق البلاد واخضعها لمصالح الاستعمار من جديد .

والحكومة ما تزال مشغولة بأمر بعض الفئات الثائرة التي تعتصم في الجبال وتستمد قوتها من الهولانديين .

وفي البلاد عشرون مليوناً من العمال اكثرهم عاطلون مع وجود الاساليب الكفيلة بتشغيلهم لو نظمت ثروة البلاد الغنية الوافرة بالمواد الاولية . فهذه الثروات الكبيرة لا قيمة لها متى كانت فوائدها تعود الى الاجانب او الحكام المسيطرين .

نحن نتألم كثيراً ونحاول ان نقنع حكامنا بتغيير مناهج العمل. ويجب ان نستفيد من فرصة التخلص من الهولانديين . والظاهر ان الزعماء لا يقدرون قيمة الزمن او كأنهم خلقوا لغير زمانهم الذي يعيشون فيه . واظنكم لمستم أثر ذلك في بلادكم ، وكلنا في الهم شرق .

في الصين الجديدة

في منطقة الحدود تشابه عظيم في هيئة السكان من البلدين : الاتحاد السوفياتي والصين . وكان وصولنا الى محطـــة منشوريا الصينية في الساعة العاشرة من مساء ١٧ ايلول سنة ١٩٥٣ . وفي صالة المحطة الفخمة اجتمعنا الى مستقبلينا من منظمة الشبيبـــة ، وتدل العناية بهذه الصالة على انها ملتقى الرجـــال الرسميين على الحدود . وبعد فترة قصيرة ، انتقلنا الى الفندق الفخم وفيه جميع وسائل الراحة .

وفي الصباح من يوم ١٨ ايلول سنة ١٩٥٣ رافقنا هؤلاء الشباب الى حديقة ابطال الجيش ، وقد اقيم في وسطها قاعدة كبرى لذكرى الجنود الذين استشهدوا في معارك تحرير منشوريا سنة ١٩٤٥ ، ومنها الى شوارع المدينة الزاخرة بالعمال . والعمل على قدم وساق في مؤسسات تقام وشوارع تعبد وابنية تجدد . فهذه بناية للمدرسة الثانوية ، وأخرى لدار الثقافة وبيوت العمال الكثيرة ، والنقليات لا تنقطع على السيارات والمركبات التي تجرهـــا الخيول ، وكانت لوحات الدعاوة للانتخابات تغطي جدران المدينة وهي من نوع جديد ومبتكر . دعاوة تقوم على الصور والرسوم الكاريكاتورية ، واعلانات تحمل اسماء المرشحين وتاريخ حياتهم وشعارات ملونة :

« انتخبوا من يعمل لتقرير الصحة والتعليم وحماية الطفولة » وصورة لمحكمة تصدر قرارها بحرمان الذين تعاونوا مع الاجانب من حق الانتخاب ، واخرى تمثل الرجعية بابشع الصور ، وثالثة تمثل الاقليات في فرح وغبطة لأنهم يتمتعون بحق الانتخاب للمرة الاولى .

وفي الضواحي تبدو المراعي الكثيرة والسدود وورشات كثيرة للعمل والبناء. حركة دائمة ودنيا جديدة وشعب يعمل- كل هذا كان في الانطباعات الاولى عن الصين الجديدة .

وفي صباح الثامن عشر من ايلول ١٩٥٣ تركنا المدينة في قطار خصص للوفد واجتزنا السهول الواسعة من منشوريا، وامامنا القرى العديدة وساكنوها من رجال ونساء واطفال، وكل المظاهر تظهر القرى في وضع متأخر كثرت فيها الابنية المتهدمة ايام الحرب ، واكثر بيوتها القائمة من الحصير . والفلاحة بدائية . وكلما توغل القطار انكشفت الصحراء القاحلة امامنا ، وهكذا حتى محطة خارين الكبيرة . وكان ينتظرنا الشباب والطلاب بالزهر والترحيب . وعلت هتافاتهم واناشيدهم وقد بدت شوارعها وابنيتها المتهدمة حافلة بمناظر الحرب والمعركة الفاصلة التي انتهت بدخول قوات جيش التحرير . وفيها اقليات متعددة ومنها الاقلية الاسلامية، وفيها جامعات ومدارس ثانوية عدد طلابها عشرة آلاف للاولى وستون الفاً للثانية .

وتحرك القطار بعد وداع حافل . ثم انتهينا الى محطة موكدن عاصمة منشوريا . وبعد قليل وصلنا الى مدينة جينجو المدينة

الصناعية الكبرى وقد دافع عنها شان كاي شك بضراوة وادار معركتها الكبرى بنفسه من الطائرة ،ثم انسحب بعد ان فقد أمله بالنصر، واستسلمت المدينة لقوات التحرير وبذلك فتحت الطريق امام الجيش الزاحف نحو العاصمة بكين .

فكرة عامة

تبلغ مساحة الصين جغرافياً ٩،٥٩٧،٠٠٠ كيلو متر مربع وطول البلاد من الشمال الى الجنوب ٤٥٠٠ كيلو متر ومن الشرق الى الغرب ٥١٠٠ كيلو متر والشواطىء ١١٠٠ كيلومتر. وعدد السكان ٥٥٠ مليوناً يزيدون كل سنة ما يقرب من العشرة ملايين . وفي البلاد مائة مليون شاب بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين وسكانها ينتسبون الى ٤٢ قومية ، وعدد الاقليات فيها يبلغ اربعين مليوناً .

ولم تستغل الثروة الكامنة تحت الارض. وهي غنية بالمعادن من فحم وبترول وحديد بكميات كبيرة جداً . ولما تنته البحوث الجارية عن مقدارهـا الحقيقي، ولكن الابحاث التي تمت تنبىء وتكشف عن ثروات جسيمة جداً تبلغ عشرة اضعاف ما اكتشف في الماضي .

وفي مقاطعة أنسان وحدها قدّر الحديد الموجود بثلاثة آلاف مليون طن حسب تقارير الخبراء الاختصاصين .

و ٩٥ بالماية من اراضي الصين تصلح للزراعة بانواعها لجودة التربة واعتدال المناخ (مناطق فوق خط الاستواء) وفي البلاد

ثروات مائية كبيرة ومنها في منطقة سانجا قــوىً مائية تعطي عشرة ملايين كيلوات كهربائية .

التنظيم الاداري

تقسم الصين إدارياً الى سبعة اقسام: القسم المركزي، المنطقة، الاقليم، الدائرة، المحافظة، القضاء، الناحية .

وفي البلاد ست مناطق كبيرة ثلاثة منها ذات حكم ذاتي . ولا علاقة لمقاطعتي منغوليا والتيبت بهذا التقسيم، وهما ذواتا حكم ذاتي يشبه الاستقلال .

ويبلغ عدد السكان في المدن ٢٨٠ مليوناً، واكثرية السكان من الفلاحين في القرى والارياف .

النظام السياسي

ديكتاتورية ديموقراطية جديدة عرّفها ماوتسي تونغ بقوله : الشعب الصيني مؤلف من الطبقة العاملة والفلاحين والبورجوازية الوطنية والبورجوازية الصغيرة، ومجموعة هذه الطبقات تحكم وتطبق الديكتاتورية ضد عملاء الاستعمار والرجعيين وضد الاقطاعيــة والرأسمالية البيروقراطية، ولا يترك لهؤلاء مجال العمل بحالٍ ما . وتطبق الديموقراطية الصحيحة في حيــاة الشعب وتعطى له حرية الاجتماع والاعتقــاد وحرية التعبير الصادق عن الافكار وفي الصحافة . والشعب وحده يملك حق الانتخاب، ويحرم الرجعيون من ذلك . وفي البلاد عشرة احزاب يقودهـا الحزب الشيوعي

وجميعها تعمل لتحقيق برنامج مشترك وطويل الأمد ، وهي : الحزب الشيوعي واللجنة الثورية لحزب الكومنتانغ ، رابطة الديموقراطيين، جمعية البناء الديموقراطي ، حزب الفلاحين ،حزب الشعب ، جمعية التقدم الديموقراطي ، رابطة فورموزا الديموقراطية ، رابطة الشبيبة ، نقابات العمال .

وقد تأسس الحزب الشيوعي في سنة ١٩٢١ ، ويزيد عدد اعضائه على الستة ملايين،وهو بقيادة الزعيم ماوتسي‌تونغ ،ويتمشى منذ ولادته على مبادىء الاشتراكية .

وفي نقابات العمال ١٤ مليون عضو ، وفي اتحاد النساء الديموقراطي ثمانية ملايين ، وفي اتحاد الشباب الديموقراطي ١٨ مليوناً ، وفي اتحاد الطلاب الديموقراطي اربعة ملايين . وهنالك اتحاد الادباء والفنانين وجمعية اصدقاء الاتحاد السوفياتي .

الجيش

تحمل القوات المسلحة اسم « الجيش التحريري للدفاع »، وكان سابقاً « جيش العمال والفلاحين الاحمر » . وفي سنة ١٩٥٠ تشكل جيش المتطوعين في كوريا ثم المليشيا الشعبية ، وقد بلغ عددها ايام الحرب ثمانية ملايين وسبعمائة الف جندي وسلاح البحرية وسلاح الجو . ثم هنالك قوات الامن وفي عهدتها حفظ النظام والأمن في المدن .

هذا ما ورد في تقرير السيد ليوايو امين سر منظمة الشبيبة الصينية وقد جاء فيه ايضاً ما يلي :

عملنا من اجل رفعة بلادنا كثيراً ، وبقي الاكثر ، والذي عملناه حتى الآن اولاً ، صفـّينا نفوذ بقايا العدو، ثانياً ، قضينا على جميع الرجعيين وقد بلغ عددهم المليونين . ثالثاً ، اتممنا الاصلاح الزراعي . رابعاً ، نظمنا حركة مساعدة كوريا . خامساً ، نظمنا مقاومة الرأسماليين البيروقراطيين وكانت حركتنا معهم مقاومة النهب والسلب والتفسخ واللصوصية والرشوة والاحتكار والتلاعب بالاسعار وعدم دفع الضرائب . سادساً، قمنا بالاصلاح الفكري بين المثقفين. سابعاً، ثبتنا اسعار البضائع وطوّرنا اقتصادنا الوطني، ثامناً ، عملنا وما زلنا نعمل على تطوير الثقافـــة والتعليم والتربية الوطنية .

وبعد تأسيس الحكومة الشعبية انهينا حسابنا مع مليونين من افراد العصابات التي كانت تعيث فساداً في الارض . ونطبق الآن خمس طرق لتصفية وضع اعداء الثورة الرجعيين .

اولاً : القضاء نهائياً على الذين اجرموا بحق وطنهم وعمـلوا لحساب الاجانب .

ثانياً : احكام بالسجن لمدات مختلفـــة بحق الذين ارتكبوا جرائم مدنية .

ثالثاً : اصلاح اثناء العمل .

رابعاً : وضع المشبوهين تحت المرقبة .

خامساً : إعادة الحريات الى الجماعات الذين تأكد صلاحهم .

وقد حققنا الاصلاح الزراعي في جميع البلاد (ماعداالتيبت ومنطقة سيكيانغ الاسلامية لاسباب سياسية) وتخلص الفلاحون منحكم

الاقطاعيين نهائياً ، وقد كانوا يتقاضون من الفلاحين ثلاثين مليون طن سنوياً دون ان يكون لهم اي حق في ذلك .

وفي ظرف ثلاث سنوات صادرنا خمسين مليون هكتار من الاراضي ووزعناها على الفلاحين بدون مقابل .

واعطينا الاقطاعي مثل نصيب الفلاح المحروم. وعلى الاقطاعيين بعد اليوم ان يعملوا ليعيشوا . ولم يبق لاي فرد امتياز على الارض في الحقوق والواجبات . والجميع سواسية امام القانون .

واعطينا اهمية خاصة لتصفية العقلية الاقطاعية والاستمارية عند كبار الملاكين في القرى والبورجوازيين في المدن . ونحن نتابع الأصلاح الفكري بتوجيه جميع الطبقات نحو خدمة الشعب . واعتمدنا في ذلك على قاعدة الانتقاد والانتقاد الذاتي .

وبعد تأسيس الجمهورية الشعبية وجّهنا جهودنا لتطوير الاقتصاد الوطني بعد ان اصاب اقتصاديات البلاد كوارث كبيرة بسبب الاحتلال الياباني والحرب مع الرجعية وتدني صناعة البلاد الى النصف بسبب ذلك، وبصورة خاصة تدني انتاج الفولاذ الى ٢٠ بالمائة عما قبل .

وفي اواخر سنة ١٩٥٢ تم تطوير ٣٥ صنفاً من الصناعات الوطنية، وبلغ الانتاج الحكومي ٦٧ بالمائة وانتاج المؤسسات الخاصة ٣٣ بالماية .

وفي عهد الجمهورية الشعبية تشكلت فرق التعاونيات بين الفلاحين، وانضم اليها مائة واربعون مليوناً يعملون في القرى وخارجاً عن تدخل السلطات . وانشأنا ثلاثة آلاف مخزن لبيع

الانتاج الحكومي وألفي مزرعة حكومية . وهذا عدد قليل ناشيء عن قلة الآلات الزراعية وخاصة التراكتورات، وسنعمل على تلافي النقص الموجود .

وبلغت مساحة الاراضي المزروعة في سنة ١٩٥٢، ١٢٠ مليون هكتار للمواد الغذائية ، و ١٢ مليون هكتار للانتاج الزراعي في الصناعة . وبلغ المحصول الزراعي من الارز والحبوب المختلفة ١٦٠ مليون طن ، ومن القطن مليوناً و ٢٩٠ الف طن .

وفي سنة ١٩٥٠ رممنا عشرة آلاف كيلو متر من خطوط السكك الحديدية، وتم تمديد ١٢٢٥ كيلو متراً من جديد . ويبلغ طول الخطوط الحديدية الصالحة للعمل ٢٤٢٣ كيلو متراً . وفي مشروع سنة ١٩٥٣ سيتم تمديد ٦٥٠ كيلو متراً من الخطوط الجديدة .

وفي سنة ١٩٥٢ تم حفر مليون و٧٠٠ الف كيلو متر مكعب من طرق الري واكبرها في تنظيم مجرى نهر هواي . ويحتاج مشروع النهر الى عمل متواصل حتى سنة ١٩٥٤ وعند اتمامه يتحقق انقاذ ستين مليوناً من الناس كانت حياتهم مهددة بأخطار الفيضانات بصورة دائمة .

وفي سنة ١٩٥٢ بلغ عدد طلاب المدارس العالية ٢٠٣ آلاف طالب . وفي المدارس الثانوية اربعة ملايين ، وفي الابتدائية ستون مليوناً . وفي المستشفيات الحكومية ٣٩ الف سرير و٢٧٨ مجلة وصحيفة . ويبلغ الدخل الوطني (ميزانية الحكومة) ٢٤٠ مليار يوان (واليوان يساوي ١٥ غرشاً لبنانياً) .

مشكلة النقد

واجهت حكومة الجمهورية الشعبية كثيراً من المشاكل المعقدة، واهمها تضخم النقد ايام حكم شان كاي شك . فقد بلغ الفساد حداً ضاعت معه كل مسؤولية ، وكان همّ القابضين على ازمة الحكم والقواد العسكريين ان يجمعوا ما امكنهم جمعه من الثروات غير المشروعة . وتدفقت الاموال الاميركية باديء ذي بدء لتكون وسيلتهم الى النفوذ والسيطرة على سياسة البلاد ومرافقها الاقتصادية، ولكن هذه الاموال على وفرتها ما كانت لتشبع نهم الطامعين، فعمدوا الى طبع الاوراق النقدية بكثرة هائلة وقذفوا بها الى الاسواق بشكل جنوني ، وجمعوا بدلها النقود الاجنبية والذهب والنفائس ، وبذلك فقدت الجماهير ثقتها بهذا النقد . وكثيراً ما كانت تتغير قيمته عشر مرات في اليوم الواحد . ولما صارت الأمور في ايدي الوطنيين ، وبعد تحرير البلاد ، عمدت السلطات الى اصدار اوراق لنقد جديد ، وبدلت ما في ايدي الجماهير من اوراق النقد القديم، وتحاشت امر إسقاطها من التعامل او اضعاف قيمتها خوفاً من رد الفعل ، وتأثير ذلك على حياة مئات الملايين من الناس ، ولو تم ذلك لسبّب اضراراً كبيرة ولسمح للرجعية بأن تلعب دورها في حين كانت البلاد تحتاج الى الاستقرار. وحيث ان الحكومة وضعت يدها على موارد الانتاج من املاك الاقطاعيين والرجعيين فانها عملت على امتصاص النقد من السوق وطرح السلع الكثيرة لتطمين الشعب على ثروته . وكلما خف

مقدار النقد المتداول كانت تنزل الاسعار وتتحسّن قوة شرائه بذلك ، وبهذا فقط امكن تفادي الكارثة ، ولا تزال سياسة الحكومة في هذه الناحية قائمة على الاسس الآنفة الذكر . وستعود قضية النقد الى سيرها الطبيعي دون ان تتأثر الفة الناس بهذا النقد الذي عرفوه في ايديهم . وسيطمئنون على ثروتهم التي يحرصون على الاحتفاظ بها، ولن تتغير صفاتها ومقاديرها الشكلية التي الفوها.

صحيح أن النقد لايزال متضخماً في ميدان التعامل بين الناس ولكن الوضع قد تحسّن كثيراً اذا ما قيس بما كان عليه من قبل . وقد ازدادت ثقة الجماهير ، والمستقبل كفيل بمعالجة هذه القضية نهائياً ، وعلاجها يرافق النهضة الشاملة في تحسين الانتاج وزيادة الثروة الوطنية . والحكومة القائمة تملك ناصية هذاالاقتصاد وتنميه وتطوره للمصلحة القومية . وفي هذا يؤمن الشعب الصيني ويطمئن على ثروته التي كانت من قبل مهددة بالضياع .

المسلمون في الصين

لا جدال في ان الكثيرين يجهلون حقيقة وضع المسلمين في الصين ، ويعتقدون ان عددهم يتجاوز الثلاثين مليوناً . على انهم عشرة ملايين او يزيدون قليلًا فقط. وهم من عشرة شعوب مختلفة: شعب خوي وشعب اويغور وقازان وقرغز وتاجك وتاتار واوزبك وتوتسيان وسالا ويوان ، وتنتشرأغلبيتهم في مقاطعات سيكيانغ وكانسو وتشنغهاي ونيفسيا من اعمال الصين الشمالية الغربية .

وفي زيارتنا لمدرسة الذكور في الحي الاسلامي بمدينة بكين العاصمة حدثنا نائب رئيس رابطة المسلمين الاستاذ مالوخا بحضور اساتذة المدرسة وإمام المحلة وكثير من اخواننا المسلمين الذين تجمعوا لاستقبالنا . وكان لقاؤهم اخوياً سادته العاطفة التي لا يمكن تجاهلها او قهرها .

قال الاستاذ مالوخا :

يبلغ عدد المسلمين في العاصمة الثمانين الفاً . وكثرة المساجد فيها، وعددها سبعة وستون جامعاً، تدل على ان المسلمين في العهود السابقة كانوا اكثر عدداً مما هم الآن ، ولكن الاضطهاد قضى على الكثيرين منهم . فقد كانوا يعيشون في فقر وبؤس وذل ، وكانوا مبعدين حكماً عن الحياة السياسية والاجتماعية . والوظائف العامة كانت آخر ما يفكر المسلم بالحصول عليه . ولهذا فأنهم عُرفوا بالباعة الجوالة لان مهنهم تكاد تنحصر في تجارة صغيرة او صناعة بسيطة لا تقوم بأودهم ، واكثرهم باعة على العربات يجرونها تحت رحمة الطبيعة وقسوة الحكام في اسواق العاصمة ، وما كان لهم ان يعملوا في المصانع . ومثلهم في ما بينهم « الفقر صديق المسلمين » . اجل يا سادتي، كانوا فقراء مضطهدين سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ومتأخرين ثقافياً ولا يملكون الحرية المألوفة عند الآخرين في ممارسة عقائدهم الدينية .

هذا الوضع الشاذ كان يمكّن للحقد في نفوس المسلمين ويباعد بينهم وبين الاكثرية الحاكمة . وقد آذاهم حكم شان كاي شك كثيراً واخمد بعض انتفاضاتهم بوحشية زائدة . ولهذا كان

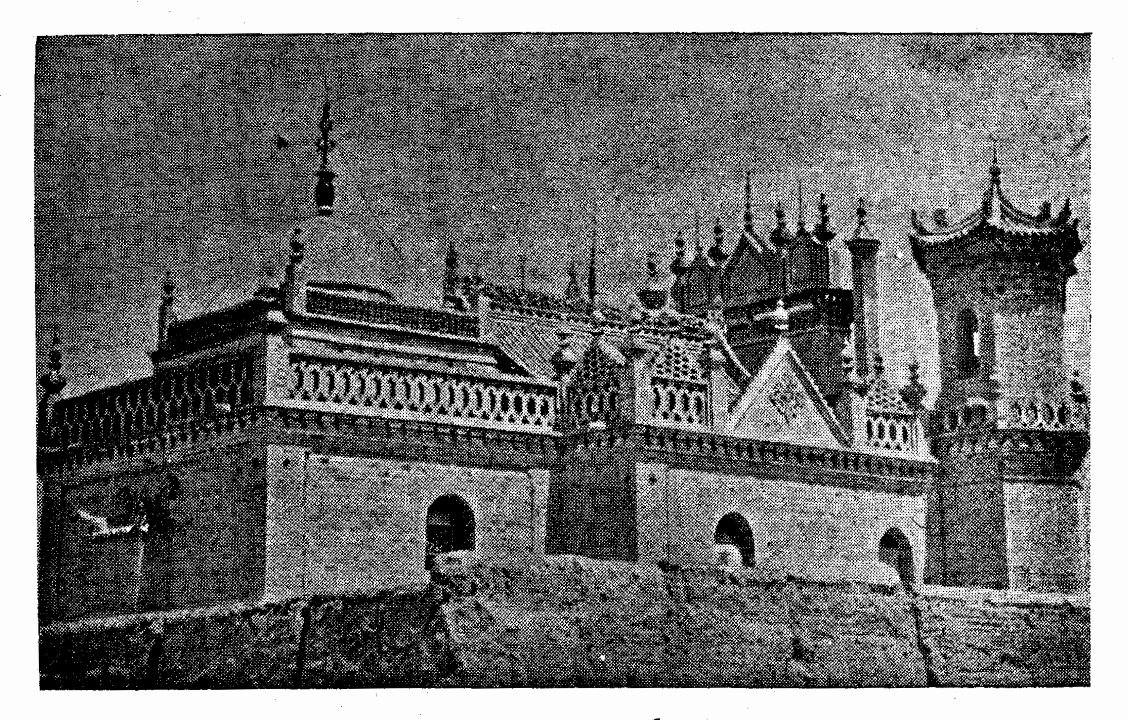
المسلمون في طليعة جيش التحرير، وساهموا مساهمة فعّالة في ادوار النضال الوطني . وقدّر لهم الزعيم ماوتسي تونغ ورجال الحكم في الجمهورية الشعبية كل ذلك ومنحهم مع اخوانهم من شعوب الاقليات الاخرى جميع حقوق المواطنين ، وساعدهم على رفع مستواهم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي .

لقد تغير وضعنا ايام الحكم الوطني تغيراً جذرياً ، واصبحنا نتمتع بجميع الحقوق التي يتمتع بها افراد العائلة الصينية من حرية العبادة والحفاظ على التقاليد والعادات . وأُعطي المسلمون حق التمثيل في جميع الدوائر الحكومية والمؤتمرات الشعبية قومياً ودينياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً .

هذه المساواة اقامت بين شعوب الامة الواحدة اساساً متيناً لاتحادها وتطورها ليقوما على امة واحدة وتعاون واحد بين جميع ابنائها . وساعد على ذلك انشاء المناطق ذات الحكم الذاتي واشراك الاقليات ، وخاصة المسلمين منهم ، في اعمال الحكومة المحلية واخذ عدد وافر للدوائر المركزية في العاصمة . وفي بكين وحدها يعمل ٦٧٠٠ شخص من المسلمين في ثلاثمائة واربعين مصنعاً ومؤسسة حكومية عامة .

ويُعتبر المسلمون في الصين اقلية قومية تختلف لغتها عن لغات القوميات الاخرى . وقد تعدلت شريعة الارث الآن واصبحت المرأة ترث كالرجل ، والطلاق يجري مدنياً ، ولا تمانع السلطات في ممارسة الطقوس الدينية في الزواج والدفن وغير ذلك .

وفي المناطق التي تم الاصلاح الزراعي فيها احرز الفلاحون من



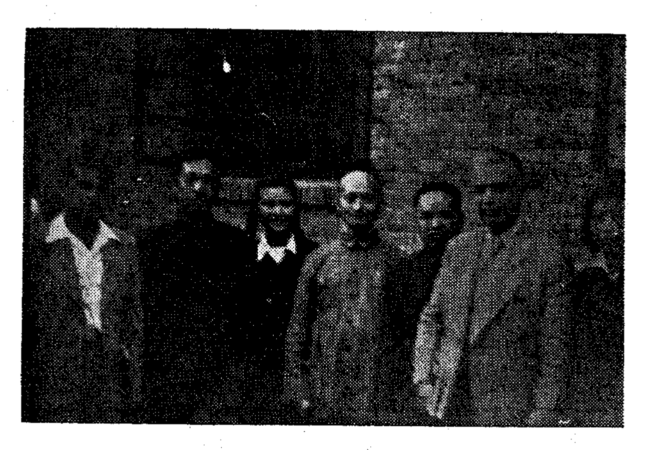
مسجد في مركز تونسين في مقاطعة نينغسيا

الشعوب الاسلامية نصيبهم من املاك الحكومة الموزعة ، وكذلك الآلات الزراعية والمواشي . وهم يعملون بحماسة لزيادة الانتاج . وقد تحسنت معيشتهم في القرى تحسناً كبيراً، وكذلك في المدن بعد ان توسعت الحكومة الشعبية في تقديم المساعدات والقروض، وبعد ان تطورت الصناعة والتجارة بصورة عامة . وتشيع هذه المساعدات اكثر فاكثر في منطقة سيكيانغ حيث تقطن الاكثرية المسلمة بتنظيم الري وتأسيس مصانع التعدين والاسمنت ومحطات توليد الكهرباء والمطاحن الآلية وصناعة الغزل والنسيج ، وقد كان ذلك معدوماً في الماضي .

وستلعب السكة الحديدية بين مدينتي تيانشو ولانجو (وقد تم انشاؤها في هذه السنة) دوراً كبيراً في تطوير اقتصاديات شعوب المقاطعة وتساعدهم على تحسين معيشتهم .

واعفت السلطات الاراضي العائدة للمساجد والمؤسسات الدينية والخيرية من الضرائب، وهي تقدم لهم الاعانات اذا اقتضى ذلك في ترميم المساجد واصلاحها . وفي سنة ١٩٥٠ اسست المعهد المركزي لشعوب الاقليات ، ومن هذا المعهد ينتقل المنتهون الى الجامعات وفيها يقبل الجميع على السواء دون تفريق في الدين او العنصر .

كان سكان الحي الاسلامي يبدون في العهد السابق ممزقي الثياب صفر الوجوه، ويتسكع اطفالهم في الازقة وامام البيوت، والذباب يحوم فوقهم ، محرومين من التعليم والمستشفيات الحكومية ، وها انتم ترون ان المسلمين في هذا الحي قد تغيرت



في جامع نانكن والمدرسة الملحقة به مع مدرّس اللغة العربية

اوضاعهم البائسة التي ذكرتها لكم ، وها انتم في المدرسة وحولكم اطفالنا يسرحون كالازهار في الحديقة ، وهـذا هو المستشفى الخاص بالمسلمين يرتفع بناؤه أمامكم ، وقد تم العمل فيه هذا الشهر وسيفتتح قريباً بأسرّته الاربعين . وجميع ادواته ومفروشاته جاهزة . وسترون ذلك كله عند زيارتكم للمستشفى . وفيما عدا ذلك فللجميع ان يدخلوا المستشفيات العامة دون ان يناقشوا في معتقداتهم والى اي دين ينتسبون . وقد عين لهذا المستشفى اطباء مسلمون وغيرهم وتهيأ له الممرضات المسلمات . وسيخصّص المرضى بمنهاج خاص في الطعام ، وكان ذلك مشكلة عسيرة عند المسلمين .

ان تسعين في المائة من اطفال المسلمين تضمهم اليوم المدارس الحكومية ، ولم يكن لنـــا مدرسة خاصة بنا . وكان في الحي مدرستان ابتدائية وثانوية تضمان ٥٥٤ تلميذاً نصفهم من غير

المسلمين . وتكونت مدرستنا من ملاك المدرستين . ونأمل ان نجعلها كلية كبيرة في السنين المقبلة، فتلامذتنا لا تساعدهم درجاتهم الحالية على الانتساب الى الكلية ، كما اننا لا نملك الملاك اللازم . والقضية بالنسبة لجميع البلاد قضية وقت وتحضير ملاكات لمدارس المسلمين وغيرهم ، وسيكون لنا جميعاً اساتذة اكفاء في المستقبل القريب .

في مدرستنا اليوم ١٣٩٧ طالباً منهم ١٤ من غير المسلمين، وهم ابناء الاساتذة الذين يعملون في المدرسة . وجميع النفقات تدفعها الحكومة . والبرنامج المطبق هو البرنامج العام ، يضاف اليه التاريخ الأسلامي والقرآن والعلوم الدينية . ويدرس ذلك باللغة العربية ومن ثمّ يُترجم من قبل الاستاذ الى اللغة الصينية . ولا تدرس الماركسية في هذه المدرسة بصورة خاصة . ويزداد عدد الاساتذة المسلمين في كل سنة .

في العاصمة ثلاثة وستون مسجداً، منها مسجد المحلة، وهو اثري بني منذ سبعمائة سنة . ويجتمع للصلاة في يوم الجمعة ما يزيد على الخمسمائة ثم ينزل هذا العدد الى المائة على الاكثر في اوقات الصلوات الخمس . والجامع رحب ومجهز بالقناديل الأثرية والسجاد الثمين . وفي الصدر منبر اثريّ تتلى منه خطبة الجمعة باللغة الصينية وتترجم آيات القرآن والحديث .

والى جانب المسجد دار يسكنها الامام مؤلفة من باحة وغرف احداها مكتبة غنية بكتب الدين واجزاء القرآن والحديث والمخطوطات ، وفيها راديو وصناديق مفصصة وقطع

اثرية من صنع دمشق . وللأمام ولد يشتغل في المطبعة وابنته تحمل شهادة تمريض ، وستعمل قريباً في المستشفى الاسلامي .

وتأسست في العاصمة جمعيتان احداهما لخدمة المساجد ورجال الدين وتسمى الجمعية الاسلامية ، والثانية تعنى برفع المستوى الثقافي العام للمسلمين في جميع انحاء الصين ، وتسمى الجمعية الثقافية الاسلامية .

اتحاد النقابات

تطورت الحركة العمالية مع تطور الرأسمالية وزيادة نفوذها ، وهي حركة كانت عفوية في البدء ثم اخذت اتجاهاً جديداً بعد تأسيس الحزب الشيوعي في سنة ١٩٢١ وتدرجت في وعيها وتنظيمها .

وفي سنة ١٩٢٢ عقد اول مؤتمر للعمال في كانتون ، وانتج ذلك نشاط الحركة العمالية في سنة ١٩٢٥ ، وفي ٧ شباط من هذه السنة حصل اضراب عمال سكة حديد هانكون – بكين .

وفي ايار سنة ١٩٢٥ عقد المؤتمر الثاني ، وعنه انبثق اتحاد العمل الصيني الذي عاش الى اليوم وتحول الى اتحاد النقابات لجميع انحاء الصين . وفي هذا المؤتمر تقرر تشكيل قيادة الطبقة العاملة للحركة الثورية ضد الاستعمار الاجنبي والاقطاعيين . ونتج عن ذلك تحالف العمال مع الفلاحين ، وتحالف العمال مع الرأسمالية الوطنية والبورجوازية الصغيرة ، وبذلك تشكلت الجبهة الوطنية .

كان تشكيل الجبهة الوطنية حافزاً ومهيئاً للاضراب الكبير

في شنغهاي في ٣٠ مايو سنة ١٩٢٥ .

وفي اول ايار سنة ١٩٢٦ عقد المؤتمـــر الثالث في كانتون ، وفيه تقرر تنظيم الحركة العمالية بشكل اعمّ ، ودعم الحركـــة التحريرية في الحملة الى الشمال .

وفي آذار سنة ١٩٢٧ حصلت انتفاضة الثورة التي انتجت اتفاق شان كاي شك مع المستعمرين وتنظيم هؤلاء للمجزرة الكبرى التي اشعلت النار في سائر البلاد .

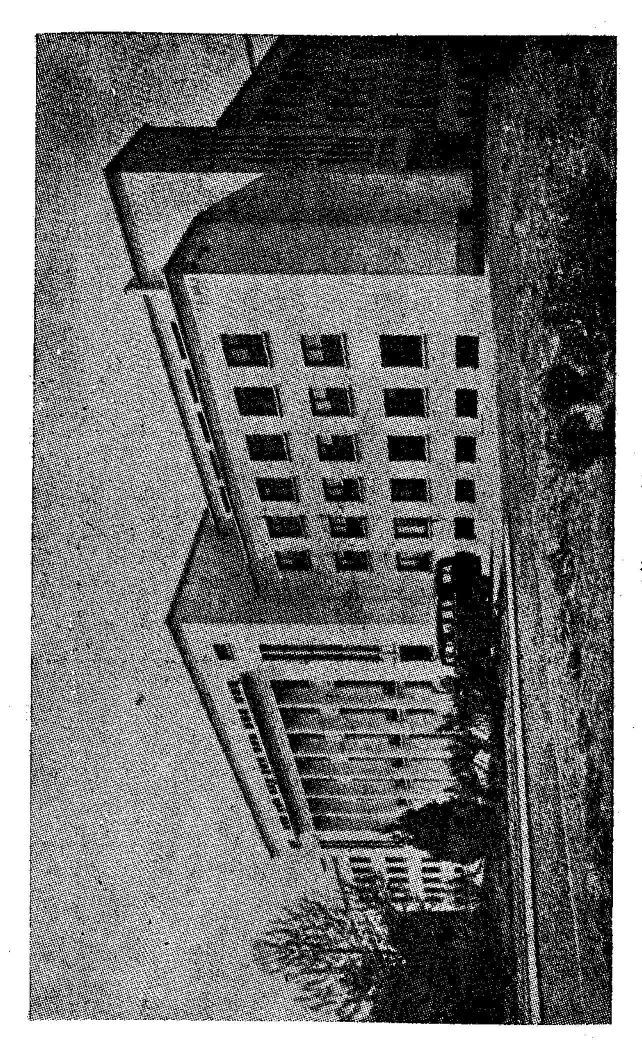
وفي حزيران ١٩٢٧ عقد المؤتمر الرابع في هانكون وفيـــه تقرر الوقوف بحزم ضد خيانة شان كاي شك ، وكان التنبه قـد بدأ ايضاً في صفوف الفلاحين .

بعد هذا التاريخ مرت الحركة العمالية في فترة سرية . وفي نوفمبر سنة١٩٢٧ عقد المؤتمر الخامس سراً في شنغهاي. ودعاالمؤتمر جميع العمال للذهاب الى القرى ودعم حركة الفلاحين وقيـادة الثورة الزراعية ، وقد كانت هذه الثورة مرحلة هامة في الحركة الوطنية واعلاناً لابتداء الحرب الاهلية .

وقد دامت الحرب الاهلية والحرب مع اليابان في آن واحد مدة عشرين سنة (١٩٢٩ — ١٩٤٨)

وفي سنة ١٩٤٨ عقد المؤتمر السادس في مدينة خاربين عشية اعلان الثورة الصينية الشاملة ، وكان الواجب الرئيسي الذي عني به المؤتمر اذاعة نداء حرب التحرير .وفي اول اكتوبر سنة١٩٤٩ اعلنت الجمهورية الشعبية الصينية .

وفي ٢ ايار سنة ١٩٥٣ عقد المؤتمر السابع في بكـــين وناقش



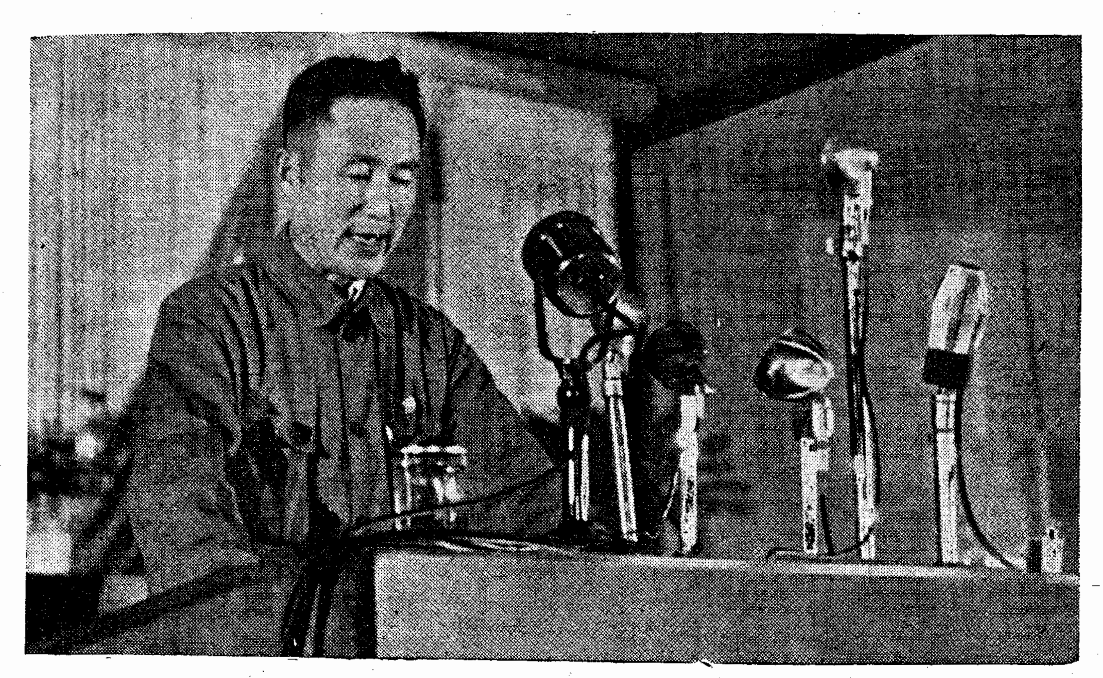
المستشفى الاسلامي

المؤتمر تضامن العمال لاعادة بناء الاقتصاد الوطني على اساس موجه.
وبعد تحرير البلاد مرّت الطبقة العاملة بفترات. ثلاث اولاً: الاستيلاء على المصانع والحفاظ عليها من تخريب الاعداء وعملائهم لانشغال جيش التحرير في تصفية الاوضاع القديمة في القرى لمدة طويلة. ثانياً: دفع حركة الانتاج الى الامام، وتسمى هذه مرحلة الاصلاح الديموقراطي، وكان يعترضها عقبات كثيرة اهمها الانظمة القديمة المتعارف عليها في المصانع ثم وجود اشخاص على رأس العمل يتعمدون تعويق تطور الانتاج وزيادته. وحركة الاصلاح هذه نُظّمت من القاعدة الى القمة. والمرحلة الثالثة هي تنظيم الانتاج على اساس موجه وذلك بتنظيم طرق العمل وتنظيم الحسابات وانقاص اسعار الكلفة وتحسين النوع، واخيراً زيادة الانتاج.

وهنا برزت اهمية النقابات في تنظيم جماهير العمال وتسييرهم وفقاً للأسس الآنفة الذكر، وفي العمل على انجاح برنامج الخمس سنوات الاول وتنظيم حركة المباراة الاشتراكية.

كان عدد اعضاء الاتحاد في سنة ١٩٤٩ — ٢،٣٧٣،٠٠٠ وارتفع في سنة ١٩٥٢ الى عشرة ملايين ومئتي الف. واوجد الاتحاد ٥٩ مدرسة للملاك النقابي. وفي الملاك العام ١١٠،٠٠٠ نقابي متمرن ثلاث سنوات في هذه المدارس.

وفي سنة ١٩٥٠ و سنة ١٩٥١ و سنة ١٩٥٢ قدّم العمال ٩٨٧٠٠٠ اقتراح لتحسين وزيادة الانتاج. وفي سنة ١٩٥٢ اشترك ٢،٨٢٩،٠٠٠ عامل في المباراة الاشتراكية لزيادة الانتاج



الاستاذ ليو كة بينغ (من شعب خوي المسلم) يلقي كلمته في الجمعية العمومية لمؤتمر الشورى السياسي للشعب الصيني .

وقدم العمال في سنة ١٩٥٢ — ٧٤٦،٧٠٠ اقتراح للتوفير وتحسين العمال، وتسجل ٤٢٣٠٠٠ عامل نموذجي بينهم ٣٠،٠٠٠ امرأة .

وأنشأت النقابات في ١٩٥٢ مدارس دورية لتعليم الاميين. وسينهي مليون عامل تعليمهم في سنة ١٩٥٣ .

وفي سنة ١٩٥٢ تمكن ٥٣٠،٠٠٠ عامل من تعلم التكنيك الحديث . ونظم الاتحاد ١٠٠٠ فرقة جوّالة لعرض الافلام ، و ٣٦٤٠ بيتاً ثقافياً لرفع مستوى العمال ، و ٧٣٥٠ نادياً في المنظمات القاعدية ، و ٥٠٧٣ فرقة مسرحية ، و ٢٤٨٧ مستشفى للعمال فيها ٢٤٠٠٠ سرير، و ٣٥٨٩ عيادة طبية مختلفة ، ١٢١٩ داراً للولادة و ٣٠٠٠ بيت استراحة وتسلية للعجزة.

والانتساب للنقابات حر ولقاء دفع ١٪ من الاجرة الشهرية لصندوق النقابة . ولا يدفع العامل ضرائب .

والحكومة تحمي النقابات والعمال،وهؤلاء يدعمون وينفذون توجيهات الحكومة .

والقواد النقابيون منتخبون . والشباب يعملون في المصانع بنسبة كبيرة . ولم تكن الطبقة العاملة تتمتع بحق الاجتماع والتظاهر والاضراب ولا تملك صحافة علنية تنطق باسم النقابات . اما الآن فجميع ذلك قد تأمّن وتنظّم .

ولم تحل قضية البطالة بعد،ولكن المشاريع الكثيرة في الصناعة والبناء والتعاونيات تمتص عدداً وافراً يتزايد سنة بعد سنة .

في سنة ١٩٥١ صدر قانون الضمان الاجتماعي وفيه جعلت سن الشيخوخة ستين عاماً للعمال وخمسين للعاملات وبدون اسباب معطلة.

وسنوات العمل للرجال ٢٥ وللنساء ٢٠ وبعد ذلك يحق للعامل طلب التقاعد . واذا لم يتمكن من اتمام المدة يعطى بنسبة مدة عمله ويساعد . وفي اصابات العمل يقبض العامل اجراً كاملاً، ويدفع المصنع نفقات المستشفى ، ولا فرق بين عامل في مصنع حكومي او مصنع خاص .

وفي حالة المرض الطبيعي يقبض تعويضاً لمدة ستة اشهر بنسبة ٦٠ الى ١٠٠ بالمائة حسب تقدير وضع العامل المادي .

ويقضي الضمان الاجتماعي على المصنع وكل صاحب عمل بدفع ٣٪ من مجموع الاجور، ولا يحسم هذا من اجور العمال و ٥٪ من اجل المعاينات الطبية . والعامل يقبض اجرته من المصنع مدة وجوده في المستشفى . والنقابات تدفع التعويضات . والاجور تختلف باختلاف كمية ونوع العمل . والمهنيون يقبضون اجورهم حسب حاجاتهم ويأخذون البستهم من المصنع . والمدارس المهنية تهتم ببعضها النقابات ، وتهتم بالبعض الآخر المصانع .

جامعة بكين

حديث العميد الاستاذ يه ن

تأسست جامعة بكين في سنة ١٨٩٨ وتاريخها لا ينفصل عن تاريخ ثورة الشعب الصيني ، وهو عصر تغرّف فيه الشعب الى جميع الوان الاضطهاد كما تعرّف الى معاني التضحية في سبيل الحرية والاستقلال .

ولعبت الجامعة دوراً كبيراً في هذا النضال المستمر ، وكان يوم ٤ ايار سنة ١٩١٩ نقطة التحول في حياة الصين ، وكان ماوتسي تونغ يعمل اذ ذاك في مكتبة جامعة بكين . وكان موقف بعض اساتدة الجامعة وبعض طلابها غامضاً ، ولكن الحركة الوطنية جرفت هؤلاء بتيارها وصهرتهم فيها ، وتحولت الجامعة الى قاعدة اساسية في حركة النضال ضد اليابانيين ، وبعد تسليمهم واخلائهم البلاد ضد الاميركان وعميلهم شان كاي شك .

وكانت السلطات تتعمد خفض مستوى الجامعة فلا تعين الاساتذة الاكفاء ، وتجهد لاخراج تلامذة ضعاف في دراستهم ، ضعاف في تفكيرهم الوطني ، ضعاف في ضمائرهم واخلاقهم . وفي فترة التحرير احسّ المخلصون بان على الجامعة واجبات جديدة

يطلب الشعب تحقيقها ، واقتضى ذلك اجراء اصلاحات جذرية ، وتعاون المخلصون من الاساتذة والطلاب على رفع مستوى الجامعة فكرياً وعلمياً ووطنياً ، اصلاحات ترمي الى هدف واحد هو رفع مستوى الثقافة في الجامعة لتقوم بهيئة الملاك اللازم لتحسين المستوى العام لحياة الشعب . وفي سنة ١٩٥٢ تم تحويل جو الجامعة الى جامعة حديثة ونموذجية تهدف الى اخراج شباب متمكنين من العلم والثقافة ليقوموا بوظائف التعليم العالي والثانوي ويملأوا في ملاكات الهندسة والطب والكيمياء والعلوم ذلك الفراغ الكبير الذي كان وليد اهمال السلطات عمداً . وتناول الاصلاح مناهج التعليم ووسائله وطرق التربية وأساليبها حتى غدت الجامعة اليوم تفاخر بكلياتها الاثنتي عشرة وباحدى وخمسين مجموعة من العلماء والمتخصصين في البحوث العلمية .

وهذه الكليات هي كلية الرياضيات ، والفيزياء ، وعلم الحياة ، والجغرافيا ، والتاريخ ، وعلم طبقات الارض ، واللغات ، والأدب الصيني ، والادب الشرقي ، والأدب الغربي ، والفلسفة ، والاقتصاد .

ويطبق اليوم نظام حديث تناول تغيير التركيب الاجتماعي في الطبقات . والى جانب الجامعة تقوم مدرسة ثانوية تابعة تنهض بتعليم العمال والفلاحين لتمكينهم من المواد التمهيدية تسهيلاً لانتسابهم الى الجامعة ، ومدرسة للأقليات تساعدهم على الالتحاق ايضاً بالجامعة لأن الحاجه ماسة جداً لهؤلاء الشباب ليعودوا الى بلادهم مزوّدين بما يساعدهم على تحقيق النهضة الشاملة

في البلاد . وتبلغ نسبة الفتيات بين طلاب الجامعة البالغ عـددهم ٤٨٠٠ طالب ٢٨٪ والحكومة والشعب ينتظران الى هـــذا المعهد وغيره من المعاهد المنتشرة في جميع البلاد بعين ملؤها الأمل في ان تتزود البلاد منها بالعدد الأوفر لمؤسساتها العلمية والادارية والفنية. ويكفي ان نـــذكر ان المتخرجين في سنة ١٩٥٢ في الهندسة ودار المعلمين لم يفوا بواحد في المائة من حاجة البلاد الملحة في جميع الحقوق .

والبطالة كانت الشبح المخوف لمتخرجي الجامعة في العهـــود الماضية . اما اليوم فقـد اصبحت ظاهـــرة مفقودة لأن جميع الوزارات تنتظر هؤلاء الشباب لتعهد اليهم بأعمال جديدة تلد مع البرامج التي لا تنتهي تحقيقاً للنهضة الشاملة .

لقد محيت يا سادتي روح الاقطاعيـــة من مواد التدريس وحلّت محلها روح الامية والديموقراطية والعمل المثمر .وسادت فكرة الجماعة والتعاون والمسؤولية . وفي جميع مراحل التدريس تُدرس وتهضم جميع التجارب الموجودة في البلاد الأخرى . ولا يضيرنا ان نتعلم من جميع شعوب العالم . والحكومة لا تبخل بمساعداتها الكبيرة لتعزيز الجامعة وتحقيق الاهداف الكـــبرى وتجهيز الجامعة بجميع وسائل العلم والمختبرات الفنية . ومكتبـة الجامعة تفيض بمليون وثمانمائة الف مجلد كلها مراجع للابحاث العلمية ووسائل للثقافة في الفن والادب . ونحن يا ســـادة نسير دائماً الى الامام .

وكان في عداد الاساتذة الذين حضروا هذا الاجتماع الاستاذ

محمد مكين استاذ اللغة العربية في كلية اللغات الشرقية ، وهو استاذ فاضل متمكن من اللغة العربية ، درس اربع سنوات في الازهر ومثلها في كلية العلوم بالقاهرة يعاونه خمسة اساتذة درسوا في الازهر . وهم يعتمدون على وسائل ضعيفة مما يصل اليهم من جرائد الاهرام والمصري والثقافة والصرخة ومجلة الطريق التي تصل اليهم عن طريق فينا ، ولهذا يتعب الاساتذة في تحضير دروسهم ويعتمدون على ما يحضر لهم الاستاذ مكين شخصياً من الدروس والمحاضرات ، ويرجون اصحاب الغيرة من المسلمين والعرب ان يزودوهم بالكتب اللازمة لمساعدتهم في اداء واجبهم العسير اداؤه مع الوسائل الحاضرة .



في جامعة بكين ، مع الاستاذ محمد مكين والطالبة فوزية

ولا يخفون مصاعب تعليم الطلاب العربية بدون شكل ، ويقولون إن تعليم اللغة اللاتينية اهون بكثير من تعليم اللغة

العربية للاجانب. وفي القسم العربي من كلية اللغات الشرقية ثمانية وعشرون تلميذاً اطلق عليهم الاستاذ مكين اسماء عربية مثل نور، حسن، نجيب، فوزية، وهم يتخاطبون باللغة الفصحى وينادون بعضهم بالأسماء العربية. ومكتبة الكلية لا تحتوي على كتب كثيرة باللغة العربية. وهناك نسخ من القرآن وبعض كتب الادب التي احضرها الاساتذة معهم من مصر والمجلات والصحف التي ذكرنا من قبل.

وقد تحدثنا مع الطالبة فوزية واسمها الأصلي نيتايجون وهي من مقاطعة هانكاي فقالت: استطيع ان اتكلم قليلًا باللغة العربية وانني اتعلمها لاخدم الشعب الصيني في المستقبل، وسأعمل على تقوية الصداقة بين بلادي وبلادكم. وبرطانة ظاهرة بدأت تسألنا واحداً واحداً ما اسم حضرتك؟ وهل انت مسرور؟ ارجو ان تكتب لي بعد وصولك الى بلادك. وتحدثنا ايضاً مع الطالب حسين محمد فتحي، وهو عضو في منظمة الشباب، ومن مدينة نانكين فقال مختصراً: احييكم، انني افتخر بعهد ماوتسي تونغ. المسلمون كثيرون في مدينة نانكين. والذي ارجحه ان تعليم اللغة العربية انما يتمّ ابتغاء إعداد ملاك يخدم في السفارات والقنصليات بعد تنظيم العلاقات الديبلوماسية مع البلاد العربية.

ثم عاد الاستاذ يه ن عميد الجامعة فأتمّ حديثه قائلًا: ان تلامذتنا لا يتعلمون الشعر العربي لصعوبته، ونحن نفضل ان نختار مواد الدراسة من الكتب التقدمية. والطلاب عندنا يدرسون في كلية اللغات اربع سنوات للغة العربية على صعوبتها. والاقسام

الاخرى من كلية اللغات الشرقية تدرس طلابها سبع سنوات . وسيعمل هؤلاء جميعاً في وظائف الترجمة والتدريس .

والتلامذة في الجامعة هم اليوم من ابناء الطبقة البورجوازية الذين كان بامكانهم الحصول على بعض المعلومات الاولية في المدارس الثانوية . اما أبناء العمال والفلاحين فانهم لم يصلوا بعد . والبرنامج العام يهيء هؤلاء في المدارس الثانوية ، وسيأتي دورهم. وسنفتح امامهم مجال التعليم العالي والجامعي وسيزدادون عدداً .

وكانت نسبة ابناء العمال والفلاحين في المدارس الثانوية سنة ١٩٥٢ اثني عشر بالمئة وفي هذه السنة قُبل منهم ثمانون الفاً بالمسابقة.

وقبل في الجامعة هذه السنة ٩٩٠ طالباً جامعياً ٢٥٠ منهم من خارج بكين وبينهم ٦ من الاقليات .

زيارة عائلة اسلامية في نانكين

دخل الاسلام الصين في القرن الثالث عشر بواسطة التجار العرب ، وخاصة تجار المجوهرات منهم . وكانت تجارتهم تتوسع على الأكثر في ميناءي كانتون وهانشو . وفي نانكين يبلغ عدد المسلمين ٢٩ الف نسمة ولهم ٢٩ جامعاً في اماكن متفرقة من المدينة . وكان الحكام يحرصون على ان لا يتكتل المسلمون في صعيد واحد من المدينة لأسباب سياسية .

أعتقد ان زيارتنا لهذا البيت لم تكن عفوية او وليدة المصادفة، بل كانت مقصودة ومنظمة . فسيدة البيت في الخامسة والاربعين من العمر وان كانت تـُعرف في الحي باسم الجدة خان . وكل ما

صدر عنها يدل على الحيوية والقدرة والدهاء .

لقد تزوجت من رجل يكبرها كثيراً ثم توفي ، وهي اليوم تسكن مع ولدها المتزوج وعائلته . والولد يشتغل عامـــلاً ميكانيكياً . وقد ملكوا البيت بالأرث ، وهم يسكنون قسماً منه ويؤجرون اقساماً ، ويعيشون من ايراد هذا العقار ، ومن عمل الأبن ومما تحصله الأم . والدار وما فيها تدل على ان العـائلة دون الوسط اجتماعياً واقتصادياً .

كان عم زوجها بائعاً متجولاً شأنه شأن جميع المسلمين المضطهدين المحرومين من الاشتراك في الأعمال العامة والوظائف . حضر الى نانكين في مطلع شبابه وجمع مبلغ ثلاثة الاف دولار صيني فضي ، وبنى الدار التي اورثهم فيما بعد .

وكان اهل الزوج يسكنون في شمالي الصين ، وابوه يشتغل بقراءة الكف . واشتغـل هـــو سائق سيارة ، وتوفي تحت تأثير ظلم اليابانيين الذين ضربوه وعطّلوه بسبب ذلك عن العمل ، واحتلوا الدار واسكنوها جنودهم الذين أخذوا في الاعتداء على اعراض الفتيات . واشتغلت هي في غسل ثياب الجنـــود الذين اساءوا معاملتها ايضاً ، فاوجد ذلك حقداً في نفسها تجلّـى اثره فيما بعد ، فاشتركت في اعمال المقاومة دون انتظام . ثم ثقفتهـا الحوادث والظروف فبدأت تبث الدعوة لكرههم ومقاومتهم ، ثم نشطت في حركة التحرير ، ونالت وسام الام النموذجيـــة . ولديها شهادات كثيرة ، الاولى من بلدية نانكين والثانيـة من لجنة المقاومة في الحيّ . وعلى اثر نداء ستوكهولم عملت على جمع

التواقيع ضد القنبلة الذرية ، وانتخبت اثر ذلك نائبة رئيسة اتحاد النساء الديموقراطيات ، وكذلك رئيسة للجنة حـــل المشاكل ومثلت الحي في مؤتمر بكين .

وقد اجتمعنا في الدار بمسؤول عن الجمعية الأسلامية وبأمـام الحي . وأعتقد ان هذا الاجتماع كان ايضاً منظماً ، فيقـــول المسؤول ان وضع المسلمين بعد التحرير قد تحسّن جداً ، وان نائب رئيس الدعاية في نانكـين من المسلمين.وهناك غيره يحتلون كثيراً من الوظائف العامـــة، وان الحكومة احدثت في الحي مدرسة ابتدائية في سنة ١٩٥١. وفي التعليم الثانوي ينتقل الطلاب الى مدارس الحكومة .

وقد سألنا الامام عما سيلقي على الناس في خطبة الجمعة فأجاب ان موضوعه لخطبة اليوم : كيف يشترك المسلمون في الانتخابات وكيف يجب ان يستعملوا حقهم في ذلك ؟ واجاب ايضاً ان الحجاب كان موجوداً في عهد والدته ، وكان عهد الاقطاعيـــين وعملاء الاجانب . اما اليوم فالجميع مواطنون لا يحتجبون لأن الحجاب يعوقهم في كسب معاشهم . واجاب ان عادة الختان لا تزال متبعة .

معهد الاقليات

في الصين ستون اقلية يبلغ عدد افرادها أربعين مليوناً منهم عشرة ملايين مسلم . وقد أسست الحكومة الشعبية هـذا المعهد لأعداد ملاك عالٍ وملاك وسط للأدارة والتثقيف . وفيه تدرس لغات الاقليات ولغة الصين لتعليم الاقليات ، وللقيام بابحاث علمية

ودراسة التاريخ والحياة الاجتماعية والاقتصادية عند الاقليات للتمكن من تطويرها وانسجامها مع الاكثرية .

وفي هذا المعهد ستة اقسام لتدريس اللغات ، والابحاث السياسية ، والابحاث العلمية ، والثقافة الخاصة ، ودار تحضير ، ودار للدراسة الثانوية للالتحاق بالجامعات . وعند تخرج التلامذة يلتحق من يرغب منهم بالجامعات ، والباقون يرسلون لأشغال المراكز الادارية والثقافية في مناطق الاقليات . وفي دور التحضير يلتقي الفلاحون والرعاة . وسياسة المعهد قائمة على احترام جميع التقاليد والاديان والعادات والآراء ، ويبلغ عدد الفتيات في هذا المعهد ١٦٠ ، وفي المعهد قاعة للاجتماعات والمحاضرات ، ومسرح للتمثيل ، وغرف للمطالعة ، وصحف بلغة التيبت ولغة المغول . ولأقلية سايخان أحدثت لغة جديدة بأحرف لاتينية .

وهنالك معرض للألبسة والازياء المختلفة ، ومعرض للرسوم والتماثيل ، وقرآن صغير الحجم ، وقطعة اثرية لسورة الأسراء بالوان زاهية . وعدد الطلاب يزيد على الالف وخمسمائة بينهم صينيون يتعلمون لغات الأقليات وتاريخهم وآدابهم .

وتقوم الابحاث العلمية حول تاريخ الاقليات وثقافاتهم وفنونهم وشؤونهم الاجتماعية .

وقد دفعت الحكومة جميع تكاليف المعهد وانشأت لهم ملاعب ومطاعم حسب عاداتهم. والانتساب يكون بالمسابقة او بتوصية من الحكومات المحلية . وهم يعطون نفقات اضافية بمناسبة الاعياد .

البيت الصيني

طلب وفدنا زيارة بعض العائلات الصينية في دورها الخاصة . وقد تمت هذه الزيارات في بيت طبيب ، ومسؤول عن لجنة قراءة الصحف في المحلة ، وتاجر .

كان الطبيب متغيباً في عمله بالمستشفى ، فاستقبلتنا زوجته الفاضلة وهي تعمل ممرضة في المستشفى لساعات معينة من اليوم ، ولهما اولاد خمسة . أما هو فيعمل جراحاً في مستشفى الحكومة ، وكان يشتغل لحسابه ويقوم بالاعمال المستعجلة في المحلة عند الاقتضاء .

والبيت الصيني بصورة عامة باحة مكشوفة ، وعليها غرف يختلف عددها واتساعها وتنظيم بنائها باختلاف حجم العائلة ومكانة صاحب الدار . وهو على الاكثر ذو طابق واحد .

ويبلغ عدد سكان المحلة احد عشر الفاً والعائلات ٢٥٠٠ عائلة مقسّمة الى جماعات تنظم حياة السكان ، ومنها اللجنة الصحية . في المحلة لجنة صحية عدد اعضائها ٦٣٢ تعنى بتنظيف المحلة وتطهيرها من الذباب والبرغش ، وبصورة عامة تنظف المحلة في الفصول الاربعة . وفي الشتاء يزال الثلج من الطرقات والسطوح ، ويجري التلقيح ضد الدفتيريا والجدري والتيفوئيد والديزانتاريا .

وقد لاقت اللجنة صعوبات كبرى في اصلاح الوضع السيء الذي خلّفه الماضي ، واضطرت في بعض الأحوال لأن تأخذ بيد الناس المتخلفين الى البيوت التي تعنى بالنظافة ليروا الفرق في تنظيم الحياة ، ولحثهم على النظافة واثارة حماستهم . ويقوم اعضاء هذه اللجنة بتنظيم ارشادات صحية عامة يعتمدون فيها على محاضرات الاطباء والنشرات العامة التي تذيعها وزارة الصحة ، وتوصيات خاصة تتعلق بتطهير البيوت ، وملاحظة ادوات التدفئة والمواقد التي كانت تسبب في السابق وفيات كثيرة بالتسمم .

ثم حدثنا مسؤول لجنة قراءة الصحف بما يلي :

الأمية متفشية في البلاد ، والحاجة ملحة الى توجيه الشعب ورفع مستواه الثقافي . لذلك شكلنا هذه اللجنة لتسد الفراغ موقتاً . وقسمنا عملنا ووزعناه على خلايا تقوم بقراءة الصحف لأن شعبنا يعنى كثيراً بالاخبار ونحن ننشر اخبار الاندية الرياضية والنهضة الصناعية وتحسين الانتاج وبصورة عامة ما يتفق مع التوجيه الوطني العام .

وهذا مسؤول لجنة فض الخلافات والتحكيم في المحلة يحدثنا عن منظمته المنتخبة من قبل الاهالي :

تتألف اللجنة من ستة عشر عضواً ، بالانتخاب ، ولها ثمانية فروع في المحلة تقوم بحل الخلافات عن طريق التحكيم ومن غير الوصول الى المحاكم . وقد اقتضى وجوده كسل الناس واهمالهم لأصلاح بيوت السكن التي كانت تتأثر بالثلوج المتراكمة والامطار الموسمية . وقد اضطرت اللجنة سنة ١٩٥١ لنقل قسم كبير من

السكان الذين تضرروا بسبب عدم اصلاح البيوت من قبل مالكيها .

ونحن نجري احصاءً عاماً لهذه البيوت المخربة في شهر آذار ، ونُلزم اصحابها باصلاحها ، ونتوسط مع الحكـــومة لأقراض المحتاجين لآجال طويلة ، فلا يأتي شهر تموز حتى تكون جميـــع الاصلاحات قد تمت ، وبذلك نحول دون اصطدام المستأجرين مع اصحاب الأملاك .

هذه مشكلة رئيسية نعالجها كما نعالج غيرها من المشاكل التي تسبب الاحقاد والخصومات ، وتوفر على الناس مراجعـة المحاكم ودفع الرسوم واضاعة الوقت والتوسع في النزاع والخصومة .

وانتقلنا بعدها الى المنظمة النسائيـــة في الحيّ ، وهي فرع من منظمة المنطقة التابعة لاتحاد النساء في الصين .

وهذه المنظمة تعمل على توجيه المرأة وتعريفها مـــكانها ومسئوليتها في هذه النهضة الشاملة ، ثم موقفها من الرجل والوطن وحماية الطفولة ، وإجراء الولادة مجاناً للفقراء في المستشفيات ، وتعمل ايضاً على حـل الخلافـــات التقليدية بـين الرجـل والمرأة ، وحل مشكلات الزواج والحصول على التبرعات ، وبيع الاشغال اليدوية والمطرزات في الحفلات لمساعدة المحتاجين من النساء ، والتعاون مع جميع المنظمات في العمل التقدمي العـام . وتسهيل التعليم للفتيات وتوجيه النساء من اجل نظافة البيت والنظافة العامة في المحلة ومكافحة الذباب والبرغش بصورة خاصة .

ثم دعانا التاجر الى داره الواسعة التي تدل على سعة احواله ، ودخلنا من بوابة كبيرة على شاكلة بيوت الاغنياء في الشرق الى

باحة واسعة ، ودائرة استقبال. وفي الاجنحـــة صالات المنامة وغرف الطعام وجناح الوالدة . وحدثنا عن وضعه العام فعرفنا انه تاجر حشائش مساهم في شركة مؤسسة منذ ٣٠٠ سنة ، وكان يتعامل مع الملايو سابقاً . اما اليوم فهو يشتغل بالتجارة الداخلية ويتقاضى راتبه بالاضافة الى حصته من الارباح .

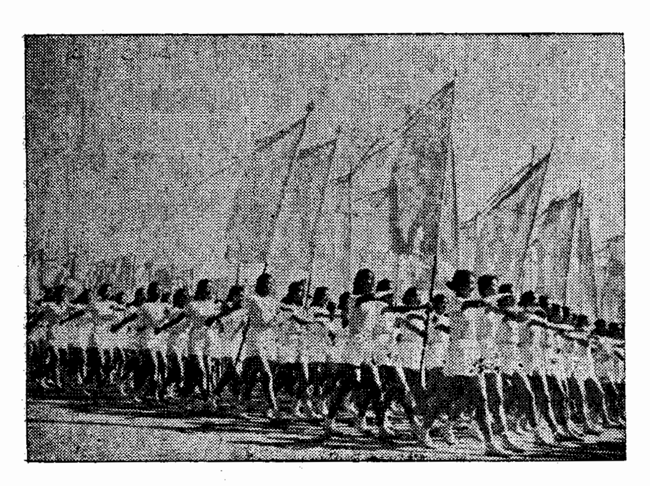
المرأة الصينية

هذا موضوع شيّق وخطير . وقد طالب وفدنا بالاجتماع الى المنظمة النسائية لدراسة وضع المرأة الصينية فتم له ذلك في دار للمؤسسة أُعدت لتنظيم شؤون المرأة وجهّزت بملاك يشرف على كل ما يختص بهذه المهمة الجليلة الخطر . وبعد التعارف بدأت السيدة موانتكين نائبة رئيسة الاتحاد النسائي حديثها :

لا بد انكم تعرفون اننا معشر النساء الشرقيات مرت علينا فترات صعبة وقاسية ، وان المرأة الشرقية متأخرة جداً ولا قيمة لها ولا حقوق. ولعلكم حصلتم على معلومات قد تكون غير كافية عن المرأة الصينية، ولكننا سنعززها بمعلومات عامة تجلو الغامض ما امكن ذلك . وسأترك إيراد هذه التفاصيل الى السيدة ابيا كون نائبة رئيسة دائرة العمل .

وتسلمت السيدة ابيا كون مكانها وافتتحت حديثها بالتحية لجميع نساء العالم بروح الاخوة والاممية ، وعبرت عن أملها بأن يكون نصيب المرأة في بناء السلم العالمي وافراً لأن المرأة هي أم وزوجة وشقيقة وذات اب في آن واحد ، ولذلك فان موقعها الاجتماعي يتيح لها ان تكون ذات اثر كبير في التوجيه العام .

ثم قالت : كانت الامية اكبر عائق لتعرّف المرأة على انسانيتها .



الفتيات الصينيات في عرض اول اكتوبر

والرجل بحكم سيطرته عليها كان يعتبرها سلعـــة واداة استمتاع ومحرومة من اي مركز سياسي واجتماعي . وكانت تباع بقليل من الرز وتقدّم الى البيت الذي تظن انها ستتزوج منه وهي في الخامسة من عمرها. وكان ذلك بسبب الفقر وصعوبة الحياة . وقد يبدأ الزواج في العاشرة مع عدم وجود ذكـــر في البيت الذي ترحل اليه ، وبانتظار مجيء الذكر . ولا يباح للأرملة ان تتزوج الا اذا باعها اهل الزوج . ولهذا كان يكثر البغاء والانتحار بين الأرامل من النساء .

كان يقطع حبل الوصال (البشيمة) بالحجر . وسوء التغذية والجهل وعدم النظافة كانت تجعل هذه الناحية من حياة الامـــة سوداء وأليمة. ووفيات الاطفال كانت تزيد على الخمسين في المائة،

والنساء المشردات كن يملأن الشوارع ، والبغاء وتعدد الزوجات كانا منتشرين .

والآن بعد ان تحسّن الوضع المادّي بصورة عامة ، وبعد ان وضعت قوانين خاصة لحماية الامومة ورعاية الطفل وتوجيه المرأة الى العمل في جميع الميادين تغيرت كل هذه الاوضاع . وبعد انشاء الاتحاد النسائي تأسست فروعه في جميع البلاد وتوسّع ملاك الاتحاد الذي خصص اربعين الف سيدة للحركة النسائية ، وتغير بذلك كيانها السياسي والاجتماعي . وقد سادت اليوم المساواة بين الرجل والمرأة وعمّت روح العمل والابداع ، واشتركت المرأة بحركة الأصلاح الزراعي . وتكاثر عدد النساء في المصانع كثيراً .

وفي شمالي الصين والشمال الغربي منها ١٢٢٨٠ امرأة يعملن في مصانع كبيرة وصغيرة كرئيسات عمل ورئيسات دوائر . وفي صناعة النسيج تبلغ نسبة رئيسات الورش ١٥ ٪ ومنهن كثيرات مسؤولات في ادارة الاعمال الحكومية واعضاء في المؤتمرات . وباب التعليم مفتوح امام العاملات . وتغيرت شروط الحياة وشروط الزواج بسبب ذلك . والشروط الحالية هي دراسة وعمل ووعي سياسي وصحة جيدة . والفتاة الصينية تفحص طالب الزواج اجتماعياً واخلاقياً ، وقد تسافر من مدينة الى أخرى من اجل التحقيق عن طالب الزواج . والاختلاط شائع في المدرسة والمصنع والنادي وجميع ميادين العمل ، وهذا ما يساعد على التعارف ، ويقوي حركة الزواج ، وحياة التعاون المشتركة والاحترام المتبادل . وقد أصبح الطلاق من حقّ الزوجين . على

ان هنالك حركة رجعية تطالب بعدم تقييد الطلاق ولكننا نقاومها ، وهي اليوم مشكلة اجتماعية وسنتغلب عليها .

وانشأت الحكومة الوطنية ٣٠،٠٠٠ دار للولادة ملافاة لجميع الاخطار الناشئة عن الجهل ، واعيد تثقيف ٢٦٩ الف قابلة. وكذلك انشئت ٢٧٣٨ دار حضانة في المشاريع الصناعية ، و ٤٣٤٦ دار حضانة في المدن و١٤٨٢٠٠ دار حضانة في الريف. وجميع المنظمات تعاون النساء على تحسين اوضاعهن وتتعاون مع الحكومة في تطبيق القوانين الجديدة الخاصة بالمرأة . وقد اغلقت دور البغاء القديمة وعنيت بمن كان فيها طبياً وعلمتهن المهن ، وكثيرات منهن تزوجن بعد الاصلاح .

والاولاد غير الشرعيين محميون ويجبر الوالد في حال معرفته على تبني ولده ورعايته . وقد جمعت المتشردات ووزعتهن على دور العمل ولم يبق للمتشردات أثر .

وتحال المرأة الى التقاعد في سن الخمسين. وللام عطلة ٥٦ يوماً مدفوعة الأجر في حالة الولادة .ويمكن اطالة هذه المدة اذا كانت الحالة الصحية تدعو الى ذلك . ويمنع القانون الزواج المبكر بالقوة وبيع المرأة واضطهادها .

والتدين قليل عند المسيحيات نسبياً وكثير عند البوذيات ، وفي القرى اكثر من المدن . وكثير من النساء يشتغلن في الطباعة والصحافة . وفي شمالي الصين ١٤٤ امرأة يرأسن المحاكم ، وفي الحكومة المركزية ستون امرأة ، ونائبة رئيس البلاد هي السيدة زوجة الدكتور صن يات صن . وفي المدارس المسائية

٥٠ ٪ من النساء . وهنالك تعاون كبير بين المنظمات النسائية ومنظمة الشباب ، وانا شخصياً اشغل مركز عضو في اللجنة المركزية لرابطة الشباب .

وكان لبس السروال (البنطلون) خاصاً بالعمال ، وقد انتشر هذا الآن عند النساء لأنه اسهل عملياً واصبح عادةً عند الجميع .

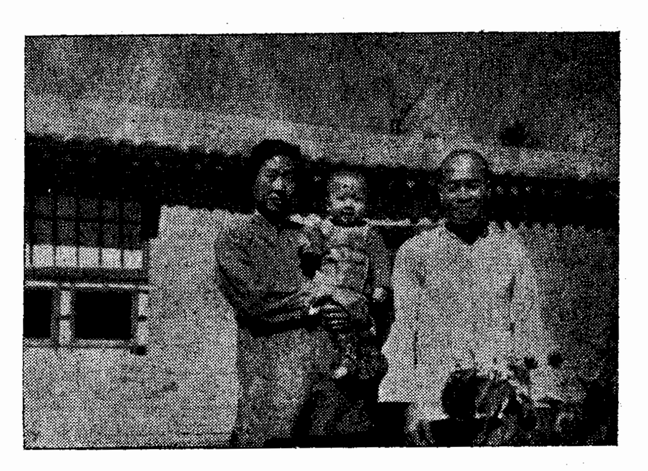
الاصلاح الزراعي

كان تطبيق الاصلاح الزراعي نضالاً حاداً اقتضى كثيراً من الجهود والوقت . ومن الصعب ان نتجاهل مقاومة الاقطاعيين الذين كانوا يمثلون ١٠٪ من السكان ويملكون ٧٠٪ من الاراضي . والفلاحون الوسط والفقراء يمثلون ٩٠٪ من سكان الريف ويملكون ٣٠٪ من الاراضي . وعائلات الفلاحين الاغنياء والاقطاعيين تمثل ٨٪ ، وعائلات الفلاحين الوسط والفقراء تمثل ٩٢٪ .

كان الاقطاعيون يستثمرون الفلاحين بوقاحة وطمع ، وكان على هؤلاء ان يقدموا اكبر كمية من المحاصيل الزراعية الى الاقطاعيين ، وهكذا كان الاصلاح الزراعي معركة حامية بين حركة التحرير وبين الاقطاعية المتمركزة ايام حكم الكومنتانغ (حكومة شان كاي شك) .

وهذا الوضع السيء كان من اهم الأسباب التي اخرت نهضة الصين وتقدمها ، وفرضت البؤس على الأكثرية التي كانت تتمثل في هؤلاء الفلاحين الفقراء . وقد قضى نظام الاصلاح الزراعي على كل هذه السيئات وحقق ملكية الفلاح للارض .

ففي الصين الشرقية صادرت السلطات ثمانية ملايين هكتار



فلاح مع زوجته وطفله في قرية قرب بكين

من اراضي الاقطاعيين ، ووزعت منها ٩٠٪ على الفلاحين ، واعادت ٣٪ الى الدولة ، ووزعت ٧٪ على الاقطاعيين لتأمين معيشتهم . ونظراً لكثافة السكان في هذه المنطقة فلم يكن بالامكان اعطاء الفلاح ما يحتاجه من الارض فعلاً لتأمين معيشته ، ولكن عوّض عليه بالاستفادة من الآلات الزراعية التي وضعتها السلطات تحت تصرف التعاونيات الزراعية .

وكانت الاراضي الصالحة للزراعة اساساً في التوزيع الذي تمّ . وأُعطيت الأهمية لعلاقة الفلاح السابقة بالأرض ، وألغيت جميع الديون التي كانت للأقطاعيين على الفلاحين ، وأُعفي هؤلاء من الضرائب المتراكمة عليهم سابقاً . كما استثني اصحاب الحرف الصغيرة الذين هم من أصل قروي وتسكن عائلاتهم في الريف بينما يعملون هم في المدن من مصادرة اراضيهم . وكذلك عومل

الموظفون والتجار الصغار واصحاب المهن الحرة . واذا تعطل احد عن عمله في المدينة بشهادة النقابة التي ينتسب اليها وكان مزارعاً في الأصل فتعطى له الارض اللازمة لكفايته كغيره .

واعطي الكهنة والرهبان ورجال الدين من المسلمين ممن يرغبون في العمل في الزراعة أراضي تكفيهم في المناطق الريفية . وكذلك اعطي العسكريون الذين اشتركوا في حرب التحرير وعائلات الشهداء ما يلزمهم من الاراضي اذا كانوا يرغبون في العمل الزراعي .

كانت السياسة العامة تقضي بالاستناد الى الفقراء من الفلاحين والمستخدمين ، وبالمرونة مع الوسط والاغنياء من الفلاحين ، وتشكيل جبهة من هؤلاء جميعاً ضد الاقطاعيين للقضاء على مقاومتهم وانحرافهم . وقد تبدو هذه التدابير شديدة نسبياً ولكن لم يكن بالأمكان عمل غير ذلك بالنظر لموقف الاقطاعيين الشائن من حركة التحرير ، ومن اجل القضاء على الاقطاعية نهائياً .

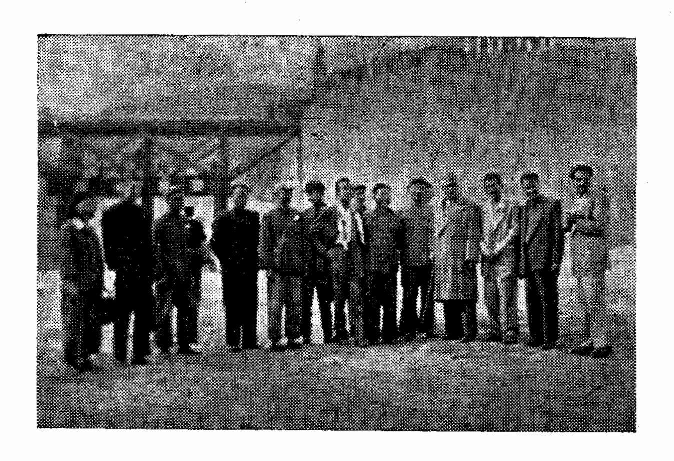
اما الاهداف للحاضر والمستقبل فهي تطوير الانتاج وتصنيع البلاد وهذه هي اهم مواد قانون الاصلاح الزراعي .

مادة ٢ – تصادر في الريف الاراضي وحيوانات الجر والادوات الزراعية والمباني العائدة الى كبار الملاكين الاقطاعيين .

مادة ٣ – تصادر في المناطق الريفية الاراضي الخاصة بأماكن الأسلاف المقدسة والهياكل والكنائس والمدارس والجمعيات والهيئات المشتركة ، وتتخذ حلول حكومية لتمويل المدارس ودور الايتام وملاجيء العجزة والمستشفيات التي كانت تعتمد على

وارداتها الخاصة سابقا . ويمكن ان تحفظ للمساجد الاراضي الخاصة بها بناء على رغبة المحمديين .

مادة ٤ — تتمتع الصناعة والتجارة بالحماية ،ولا يمكن مصادرة المشاريع الصناعية والتجارية الخاصة بكبار الملاكين العقاريين ، كذلك الاراضي المستعملة مباشرةً في استثمار هذه المشاريع . وتصادر الاراضي الخاصة بالصناعيين والتجار الواقعة في المناطق الريفية ، وكذلك المباني التي يسكنها الفلاحون والتي هي في حوزة الاقطاعيين . الأموال والمشاريع الخاصة في الاراضي الريفية محمية من المصادرة .



العمل في خزان لوانتين

مادة ١٠ — توزع الاراضي المصادرة طبقاً للقانون وبواسطة اتحادات الفلاحين في المقاطعات الريفية .

مادة ١٧ — المنشآت الخاصة بالري والتي صودرت يجب ان

توزع مع الحقول اذا كان ذلك ممكناً والا فتوضع تحت اشراف الحكومة المحلية مع اخذ العادات المحلية بعين الاعتبار .

مادة ١٨ — الغابات الكبرى ، والاعمال المائية الكبيرة ، والأراضي الكبيرة والجبال غير المستثمرة ، والملاحات الكبرى ، والجبال الغنية بالمعادن والبحيرات والانهر والغدران والموانىء تعود كلها للدولة . ويمكن للاشخاص الخصوصيين ان يتابعوا استثمار اموالهم التي كانوا قد وظفوها سابقاً ، طبقاً للقوانين الموضوعة .

مادة ٢٠ — تبقى المدافن والاشجار المغروسة في المقابر محفوظة الحرمة اثناء المصادرة .

مادة ٢١ — الاماكن التاريخية والاثرية وذات القيمة الثقافية تتمتع بالحماية ، ولا تُزال اماكن الاسلاف المقدسة والهياكل والأديرة والكنائس والعمارات الكبرى .

مادة ٣٠ — تسلم الحكومات الشعبية بعد الانتهاء من تطبيق الاصلاح الزراعي سندات تملك للأراضي الموزعة على الفلاحين تضمن حق الاستثمار الحر وحق البيع والشراء والتأجير . وتصبح لاغية جميع العقود الزراعية المنظمة قبل الاصلاح الزراعي .

مادة ٣٤ — يؤمن للفلاحين حق الانتقاد الحر في جميع الاجتماعات وحق مراقبة شغيلة الاصلاح الزراعي على اختلاف مراتبهم .

مادة ٣٥ — الاراضي الواقعة في ضواحي المدن يوضع لها قانون خاص وتعين هذه المدن الكبيرة بقانون .

مادة ٣٦ ـ لا يطبق هذا القانون على مناطق الاقليات القومية .

مدرسة ثانوية للبنات

هذه مدرسة ثانوية للبنات مرتبطة بدار المعلمات عدد تلامذتها ١٨٠٠ وعدد اساتذتها ٩١ منهم ٤٩ معلمة . اقسامها متعددة للتعليم والسكن والاعاشة والمنامة. بناؤها قديم في حديقة واسعة أضيف اليها ابنية جديدة على مساحة ٤٧٠٠ متر مربع . و ٨٤٪ من طلابها يمكنهم الدراسة بشروط صحية وحسنة .

تدرس الطالبات في هذه المدرسة ٣٨ مادة ، وفيها مكتبة تحتوي على ١٤٠٠٠ مجلد. وقاعة التجارب الكيماوية غنية بالوسائل وفيها ٣١ مجهراً (ميكروسكوب) . ويزداد عدد المتفوقات سنة بعد سنة . ومتوسط عمر الطالبات ١٦ــ٢٠ ولايجاد مستوى علمي واحد يُعنى في هذه المدرسة بالتعليم الثانوي وبعدها ترسل الناجحات الى دار المعلمات العليا او الى الجامعات للتخصص أو الى المدارس المهنية العالية . وتعطى الطالبات محاضرتين اسبوعياً عن تاريخ تطور المجتمع .

وفي القسم الاول يطبق برنامج نظري ، وفي القسم الثاني برنامج علمي عملي . ويكون الانتساب بالمسابقة ، وتدفع الطالبة ٣٠ ألف ين في كل ستة اشهر للنفقات النثرية ، وتعفى الفقيرات من النفقات ، واجور الاساتذة تسدد من قبل الحكومة . و ٨٦٪ من الطلاب اولاد عمال منهم ١٣٪ من اولاد عمال

الصناعة الثقيلة . أما عدد الطلاب في الصفوف فيتراوح بين ٣٠ و٥٠ ، وفي كل ستة اشهر يعقد اجتماع بين الأدارة واولياء الطلاب لمناقشة الاقتراحات ، وفي حال الضرورة تتصل الادارة بأولياء الطلبة للبحث في الشؤون الطارئة . وقد خصصت اقسام من المدرسة للعيادة والصيدلية ودار الحضانة لاطفال المعلمات وقاعة للمحاضرات والتمثيل والموسيقى .

رابطة الشبيبة

وعقدنا اجتماعاً مع رابطة الشبيبة في النادي العام ، وكان سابقاً مؤسسة اجنبية وفيه مطعم فخم . وفي هذا النادي تعقد اجتماعات المنظمات وتلقى المحاضرات والتوجيهات . وكان المتكلم سكرتير رابطة الشبيبة « ليوتاوتسن » .

بدأ الحديث عن حركة الشبيبة الصينية ووضعها من الاتحاد العام للشبيبة . فقد كان مولدها في ٤ ايار سنة ١٩١٩ كحركة وطنية في صفوف الشباب وبالاتفاق مع المثقفين من العمال والفلاحين . وكانت نواة الحركة الفكرية لتأسيس الحزب الشيوعي سنة ١٩٢١ ، ومنذ ذلك التاريخ تمشت المنظمة بتوجيه الحزب ، وكان ذلك اول نشاط في تحضير الحرب الثورية سنة ١٩٢٥ . وكانت هذه الثورة على مرحلتين : الاولى سنة ١٩٢٥ - ١٩٢٧ بقيادة الحزب وبدأت بتوحيد جماهير الطلاب والشباب والعمال وتجنيدهم لحركة شنغهاي سنة ١٩٢٧ لمقاومة الاستعمار ، والثانية سنة ١٩٢٧ وفيها توجهت القوى الى الريف لتنظيم حركة الفلاحين

وعملت على تنظيم الملاك وتشكيل المنظمات في القاعدة وانشاء فرع لرابطة الشباب العالمية ، وخلقت فرقة الطلائع لتقوم بنشاط وطني في المؤخرة. وعندما هاجم اليابانيون الشمال الشرقي من الصين وتوغلوا في الاحتلال هيأت نضالاً مسلحاً في سنة ١٩٣٥ بدأ في حركة للطلاب بمدن بكين وتيانتسين ثم امتدت الى جميع انحاء الصين . وفي سنة ١٩٣٦ تقرر تحويل حركة الشبيبة الى منظمة للتحرر الوطني ، وتنظمت طليعة التحرر من اجل تلبية نداء الجبهة الموحدة . وفي المناطق منظمات طليعة السلام ، وطليعة الشباب ، وطليعة النضال ، وكلها اسماء مختلفة لغاية واحدة هي النضال في سبيل تحرير البلاد. وزاد عدد هذه الطلائع على المليون، وكان هدفها في مناطق الاحتلال تنظيم المقاومة ضد اليابان ، وفي المناطق المحررة دعم المؤخرة وتأمين حراسة الانتاج وتثقيف الشعب . وكانت حراسة الانتاج والامن جدية ودقيقة ، ولا يسمح المرور بدون جواز مؤشر عليه من الرابطة او من قيادة جيش التحرير .

احدثت الرابطة مدارس ابتدائية في القرى وجرائد الحائط وفرق موسيقى وتمثيل . وفي سنوات الحرب الثاني مع اليابان حصل اعضاء الرابطة على تجارب واسعة ، وظهر من صفوفها ابطال وقواد عسكريون ورجال سياسة ومناضلون اقوياء .

وفي سنة ١٩٤٦ بدأ شان كاي شك عدوانه على المناطق المحررة من اليابانيين بمساعدة الاميركان . وهنا بدأت الثورة الثالثة، وكان دور الرابطة في هذه الحركة هو الاشتراك مع جيش

الشعب في المناطق المحررة ودعم المؤخرة ، ودعم حركة الاصلاح الزراعي . وفي سنة ١٩٤٧ اشترك مليونان من شباب الرابطة في دعم الجيش الزاحف نحو الجنوب ، ووحدوا صفوفهم مع العمال والفلاحين لمعاونة جيش التحرير وتهيئة وسائل النصر .

وفى هذه الفترة اعلن الزعيم ماوتسي تونغ ان حركة الشبيبة لعبت دور الطليعة في ثورة الشعب ضد تدخل الاستعمار وضد الرجعية المحلية ، وهي جيش لعب دوراً هاماً في معركة التحرر الوطني .

وفي سنة ١٩٤٩ عقد مؤتمر عام انبثق عنه تأسيس رابطة الشبيبة الديموقراطية الصينية . وهي كما حددها الحزب الشيوعي منظمة جماهيرية لطليعة الشبيبة التي تناضل من اجل تحقيق الحياة الديموقراطية الجديدة في الصين ، وهي ايضاً نواة ومدرسة للتنظيم والتثقيف الشعبي .

ومهمتها تنظيم الشباب في الطليعة وتوحيد صفوفهم وتنظيم الجماهير وتثقيفهم من اجل النضال الوطني ضد الاستعمار الرأسمالية الجامدة ودعم الجمهورية والديموقراطية الجديدة ، ومساعدة النضال من اجل التحرر في العالم ، وتثقيف الشباب وتوجيههم من اجل القيام بجميع هذه الغايات . وفي الفترة الحاضرة عقد المؤتمر الثاني للرابطة وقدأقرت فيه تعديلات على هذه المناهج ،وهكذا صارت منظمة الشباب تساعد الحزب لتثقيف الشباب شيوعياً ولكي يصبح الشباب جيلاً جديداً يحب وطنه عاملاً وممتلئاً حياة واملاً لا تقف امامه الصعوبات ، جيلاً يعمل من اجل تحقيق الاشتراكية

بشكل تدريجي .

وتطبق المنظمة بأمانة جميع مقررات الحزب وما يصدر عن الحكومة، وتعمل على دعم وتقوية الاتحاد والأخوة بين القوميات في جميع الصين ، وتسعى الى دعم ديكتاتورية الديموقراطية الشعبية ، والتمكن من جميع العلوم ، والاشتراك بنشاط في حركة البناء السلمي والقيام بالدفاع عن كيان الوطن . والرابطة امينة للروح الأممية ، ولهذا فهي توحد صفوفها مع سائر الشعوب من اجل دعم معسكر السلم والديموقراطية والاشتراكية في العالم.

وقد انتهى انتصار الثورة لتحقيق الديموقراطية في فترات التأسيس الاولى ، ووجب الآن النضال من اجل المرور بمرحلة إصلاح شامل للعبور الى الحياة الاشتراكية .

وكل شاب بين الرابعة عشرة والخامسة والعشرين يوافق على دستور المنظمة يعتبر عضواً فيها . ولأجل ذلك يجب ان يكون تقدمياً في تفكيره ويدعم مبادىء الحزب الشيوعي ويعتبره قائداً لتطبيق النظام ومرحلة الانتقال الى الاشتراكية تدريجياً ، وان يقوم بجميع المهام التي يكلف بها وان يدرس بحيوية واندفاع وان يخضع خضوعاً تاماً لمقررات الحزب ومنظمة الشبيبة ،وان يتم الواجبات المكلف بها من قبل الحزب والمنظمة .

وقد بلغ عدد المنتسبين الى منظمة الشباب ثمانية عشر مليوناً ٢٨ ٪ منهم من الفتيات وعدد الطلائع (دون سن ١٤ سنة) سبعة ملايين .

وفي السنوات الاربع بعد التحرير قامت المنظمة باعمال

النضال ضد العصابات التي كانت منتشرة في البلاد تعيث فساداً ، وعملت على تطوير حركة الانتاج ، مساعدةً الجيش في المؤخرة وعلى تنظيم الاستيلاء على المدن والمحافظة على المصانع من تخريب العدو والرجعية مقاومةً الاستعمار الاميركي في توسيع حركة التطوع للدفاع عن كوريا ، والمساهمة بالاصلاح الزراعي ، والاشتراك بالاصلاح الفكري ، وتنمية الوعي ، وتحسين الوضع المادي للشباب ، والقيام بتجارب تقدمية علمياً واخضاع العلم للمصلحة العامة .

وفي مايو سنة ١٩٥٢ قدمت الرابطة ٤٧ الف اقتراح لتوفير مدة العمل والجهد الآلي قبل منها ١٩ الف اقتراح .

وحشدت الرابطة ١٠٠ الف مثقف لتنفيذ حركة الاصلاح الزراعي ، وقد تحقق هذا في مناطق كبيرة يبلغ عدد سكانها ٤٥٠ مليوناً . وفيما عدا مناطق الاقليات التي لم يطبق فيها قانون الاصلاح الزراعي لاعتبارات اساسية ومراعاة لشعور هذه الاقليات يمكن القول ان الاصلاح الزراعي تم تطبيقه في جميع انحاء الصين .

وكان دور الشبيبة في هذا الميدان هو شرح وتوضيح قوانين الحكومة ، وايضاح الوضع على حقيقته ومراقبة الاقطاعيين .

اصلاح اللغة والقضاء على الامية

حدثنا عضو في لجنة اصلاح اللغة عن الجهود المبذولة في هذا السبيل . واللغة الصينية هي اصعب لغات العالم لتعقدها وعدم

ارتكازها على الابجدية فهي رسوم ورموز لمعانٍ كثيرة . واتجاه اللجنة قائم على تحديد هذه الرسوم الى اقل عدد ممكن . ويؤملون حصرها في الفين منها يظنون انها تكفي لتعلم أسس اللغة وامكان التكلم بها . ومعنى ذلك انهم يحرصون على بقائها وعدم الاخذ باللغة اللاتينية او غيرها . ونحن نشك في صلاح هذا لمعالجة الصعوبات القائمة في شكل هذه الرموز والرسوم لتقوم بدور الوسيط بين هذا الشعب الكبير او تساعد على نهضته وان كان الصينيون يعتقدون خلاف ذلك .

ويقول عضو لجنة الاصلاح ان الخطأ كان في تطبيق نفس الطريقة التي كانت تعطى للاطفال على المتقدمين في السن ، وان الطريقة الجديدة المختصرة ساعدت على المحافظة على مميزات اللغة واوجدت اشارات صوتية وساكنة . وبهذين الالفين من الرموز امكن تعليم الكثيرين القراءة والكتابة ، ومحيت الامية بين الجنود .

والتوجيهات المتبعة هي تبسيط اللغة وتحسينها وايجاد حركات صوتية وساكنة . وليس هنالك لغة مؤلفة من احرف ولكنها لغة كلمات . ويظن العاملون لأصلاح اللغة انه بالامكان ايجاد أشكال منسجمة مع طبيعة اللغة الموجودة دون اضطرار الى الالتجاء للغة اجنبية ، وتحديد الرموز المستعملة بألفين منها يساعد على حلول الكلمات البسيطة مكان المعقدة . وهم يفكرون جدياً بايجاد حروف تقوم بعد هذا التبسيط بخدمة اللغة الجديدة ، وتبحث اللجنة الآن في قضية الرموز الصوتية والحركات .

اما الامية التي تخيم على ٨٠٪ فقد وجهت الجهود لمحوهـا او اضعافهـا على الأصح في محيط العمال والفلاحين ، وركزت في الجيش . ويقول المسؤول ان سنة ١٩٥٢ كانت سنة تصفيـة الأمية في الجيش ، وهذه نتائج باهرة ولا شك . وتساهم المنظمات في حملة القضاء على الأمية وينتشر الشباب في المدارس الليليـة والمدارس الدورية في الأرياف. وتأخذ هذه الحركة شكل العمل الجماعي ، وتطبق لذلك خطـة مرسومـة حسب الاوضاع والوسائل وملاءمة الظروف ومناهـج العمل ، لأن العمل بطبيعته معقـد ، والسكان عديـدون ، والاوضاع مختلفـة في المناطق الكثيرة ، والقوميات كثيرة العـدد وبعضها ليس له لغة محدودة .

كل ذلك يتطلب عناية وصبراً

艾德哈米·艾布廸薩蘭 先生

中國新民主主義青年團江蘇省南京市委員會

南京市民主青年聯合會

نموذج من الخط الصيني وهو يمثل بطاقة احدى الدعوات التي تلقاهـا المؤلف .

وهذالا يجهله المسؤولون ، ولكن الهدف محدد بالعمل للقضاء على هذه الأمية التي تعوق النهضة الشاملة. ويقال انه امكن تعليم ٥٣٥٠٠٠ عامل في سنة ١٩٥٢ وفي الستة الاشهر الاولى من سنة ١٩٥٣ امكن تعليم ٤٦٢ الف عامل القراءة والكتابة .

اما الفلاحون فقد تمكنا من تعليم ثلاثة ملايين منهم في سنة ١٩٥٢ ، ولهذا نؤكد اننا في طريقنا لتصفية الأمية ونحن واثقون من ذلك .

مقابلة مع الادباء

كان الشعب لا يعرف القراءة والكتابة ، ولهذا كانت الجماهير لا تقرأ الادب ، ولكنهم كانوا يستطيعون سماع اناشيد الادباء ويصغون الى آثارهم التمثيلية . كانوا يستعملون الرسم والحفر على الخشب ، وكان ذلك عملاً شعبياً في دائرة الفن والادب . وبهذه الوسيلة امكن للأدباء ان يتوغلوا في صفوف الجماهير ، وبالتمثيل والاجتماعات العامة ساعد الادباء على نشر روح المقاومة ورفع مستوى الجماهير . وكتب الروائيون طبعات صغيرة نشر مضمونها في الصحف وفي صحف الحائط . وقاوم العهد البائد جهود الادباء فاضطروا الى التستر خلف الاسماء المستعارة . والحكومة الشعبية تعتمد اليوم على الادباء في الاتصال الوثيق بجميع طبقات الشعب فتنظم لهم الرحلات الى القرى وزيارات للمصانع والجامعات والمزارع . ومنهم الموظفون ، ومنهم من يكتفي بنصيبه من النشر. والادباء الناشئون يعيشون في باحة المنظمات ويعاونهم

الادباء المخضرمون. والرساموت القدامى تشتري الحكومة آثارهم. ومن الادباء القدامى الكاتب كوشوشن الذي يــتزعم الحركة الادبية في الصين وهو ينظم اليوم ملحمة عن الحركة الوطنية. ومن الشباب نه من سياو وهو روائي حديث وشو لي بو وتيه جيه ن في الادب الواقعي .

السجن

بني هذا السجن ايام الكومنتانغ . وفي عهد التحرير شمـــل الاصلاح نظام السجن ايضاً ، وانشئت اربــع ورشات لتشغيل المساجين . الاولى مطبعة تستهلك يومياً ١٥٠ ماعون ورق ، والثانية معمل للاقمشة العادية وانتاجه اليومي ٢٥٠ ثوباً ،والثالثة مصنع للكاسات وينتج ٣١٠٠ دزينة يومياً ، واخـــيراً مصنع الحدادة . وعدد السجناء ١٨٠٠ موزعون على الورش الاربــع بينهم ٥٠٪ من الرجعيين واعداء الثورة . ومدة العمل ثمانية ساعات بالمناوبـــة .

قال نائب المدير جواباً على اسئلة عديدة :

نحن نطبق نظاماً جدياً في التربية ولا نتساهل ولا نقـــوم باعمال دون ان يكون لنـا هدف وراءها . وللسجين الحرية في التجول ، ولكنه لا يتجاوز الابواب . ونحن نطبق نظاماً قاسياً في التجول بحق الرجعيين واعداء الثورة ونضعهم تحت مراقبـــة قاسية ، ولعلهم ان يفقهوا جريمتهم ، وان يفهموا حـق الوطن وطبيعة النظام الجديد . ونصارحهم ان عقابهم كان عادلاً ونحاول

تطويرهم بالعمل لأنهم كسالى بطبيعتهم ، ونمهد لهم لذلك بان نعرفهم ان العمل هو الذي يخلق القيم ، وان فهم الصناعة ومحيطها يساعدان الانسان على كسب صفاته الانسانيـــة والاجتماعية الصحيحة . ونطلع السجناء على الوضع في البلاد لكي يعرفوا ان قوة الشعب ازلية لا تقاوم، ونطلعهم على طريقة الانشاء والتعمير في الصين الجديدة ليدركوا ان الذي يسير مـع الشعب يصل الى اهدافه الصادقة ، وان الشعب هو الذي يكسب النصر والمعركة الاخـــيرة .

وللمساجين ساعتان للدراسة ، وكثيرون انتقلوا من الأمية الى ساحات الثقافة العامة واستفادوا من الصحف والكتب الـتي نسمح بقراءتها . ونحن نشعر ان هذه الجهود قـد اثمرت واصبح المساجين اقوى شعوراً بوجودهم واكثر تعرفاً على الحياة السلمية . وقد قدرنا اصحاب السلوك الحسن فكرمنا العامل ونقدنا الكسول . ولهذا فاننا نقوم بدراسة تفصيلية كل ثلاثة اشهر لنميز العـــامل من سيء السلوك ونكرم العامل مادياً . اما اعـداء الثورة فلا يعطون المكافأة وقد تخفض مـدة عقوبتهم كغيرهم اذا احسنوا السلوك .

ويتناقص عدد المجرمين تدريجياً ، ومن الصعب حصر انواع الجرائم وأيها اكثر شيوعاً . وفي بكين سجن للموقوفين وهنـا يقيم المحكومون فقط .

اما المحكومون مدى الحياة فقليلون والاكثرية تتراوح مدة سجنها بين ٥ و ٨ سنوات .

فكرة عامة عن نانكين

نانكين بلد قديم بني سنة ٤٧٢قبل الميلاد وفي عهد سلالة مين. وقد تم بناؤها في اربع سنوات . يحيط بها سور اقيم بعد الميلاد سنة ٢٢١ يبلغ علوه ٤٢ قدماً ويتراوح عرضه بين ٢٥ و ٤٠ قدماً وللمدينة ثلاثة عشر باباً قائمة في السور ومنافذ كثيرة .

ويبلغ عدد سكانها مليوناً ومائة وثلاثين الفاً منهم اقليتان : المانشو وعددهم ٩٦ ألفاً والمسلمون وعددهم ٣٦ ألفاً . وفي خارج السور اقيمت ابنية الضواحي وهي تشكل ثلث المدينة . وفيها جامعة اعيد تنظيمها سنة ١٩٥٢ وثمانية معاهد كبيرة للتدريس العالي . وقد نظمت الجامعة على اساس التخصص . ومن معاهد المدينة معهد الفولاذ في التحصيل العالي والثانوي . وفيها ٣٠٠ مدرسة ابتدائية و ١٢٠ الف طالب و ٧ مدارس مهنية .

وساحة المدينة ٥٠٠ كيلو متر مربع ، وطول السور المحيط بها ٣٣ كيلو متراً ، وارضها خصبة جداً يحيط بها جبال واحراج وطبيعة جميلة للغاية . وهي المرفأ الكبير لنهر يانغسين . وكانت في السابق مدينة موظفين ودوائر ، ومركز النشاط السياسي الوطني . والمؤامرات الرجعية ، ومركز نشاط السياسة الاجنبية في آن واحد . وهي تحتوي على ثماني قاعات للسينما ومسرح للتمثيل

والاوبرا ، وعلى الضفة الثانية من النهر يقوم مصنـــع الاسمدة الكيماوية ومصنع لمبات الكهرباء .

مصنع السماد الكيماوي

على الضفة الثانية من نهر يانغسين يقوم مصنع الاسمدة الكيماوية وهو احد فروع الشركة العامة في بكين .

انشيء المصنع بالقرب من الساحل ، وفي جوار حديقة كبرى يحيط بها جبل وغابة واسعة . جلسنا الى مقصف في الغابة الجميلة نستمع الى حديث المدير ورئيس المهندسين ورئيس منظمـــة الشباب في المنطقة. وهذا هو موجز حياة المصنع: تأسس سنة ١٩٣٦ واحتل من قبل اليابانيين ثم استرد بعد تحرير البلاد . وكان اضطراب اسعار النقد وعدم تصريف الانتاج ونقصان المواد الاولية اللازمة والصعوبات الكبيرة التي حالت دون العمل المتواصل — كل ذلك كان سبباً في توقف المصنع عن العمل . وبعد التحرير أمدته الحكومة بمساعدات مالية مكنته من شراء المواد الأولية لتيسير العمل الدائم للعمال والانتاج المتصاعد لزراعة البـلاد .

واصبحت الحكومة مساهمة في المشروع، فانتظم العمل ونما وكبر بتوسيع ابنيته وزيادة آلاته والعناية بالناحية الفنية وتزويده بالاكفاء حتى بات من المتوقع ان يكون انتـــاج سنة ١٩٥٣ ضعف الانتاج في سنة ١٩٥٢ . والحكومة تعنى جدياً بتحسـين اوضاعـــه ، وقد تم بناء مساكن لجميع العمال ، وكذلك أقيم مستشفى ومدرسة تضم ١٤٠٠ طالب في هذه السنة . وفي المدرسة

فرع لتعليم العمال النظريات الفنية وعـــددهم اليوم ٨٠ عاملاً سيعودون الى المصنع خبراء فنيين ومساعدي مهندســين اختصاصيين في صناعة السماد الكيماوي . وفي المستشفى اقسام للجراحة وللطب الداخلي والاطفال والامراض النسائيـة وطب الأسنان ، وفيه ايضاً قسم خاص لاجراء الفحوص اليوميـــة ، وآخر للمعالجة بالأشعة .

وفي السنة المقبلة يقضى على الأمية في المصنع . وبالقرب من المصنع زرنا خمسة بيوت انشئت لراحة العمال يقبل فيها ٥٠٠ عامل في السنة بالتتابع وحسب الأهمية . وفي جوار الملعب حديقـــة واسعة للنزهة يقوم بجوارها ملاعب رياضية . والعمل قائم في انشاء دار للسينما وقاعة للتمثيل والحفلات ، وستدشن هذه القاعـــة في ايار سنة ١٩٥٤ .

وقد زرنا اقسام المصنع الذي يقوم على مساحة كيـلو متر مربع فوجدنا فيه آلات ضخمة تفي بالأنتاج الكبير . وهو ولا شك من المؤسسات العظيمة التي تساعد على نهضة البلاد وتطوير زراعتهـــا .

كانتون

نحن الآن في طريقنا الى كانتون وهي اقصى نقطة في جنوبي الصين . والجنوب يختلف في طبيعته عن الشمال ، فالقمم والجبال والسهول والوديان والجداول والانهار لم ينقطع رواؤها البهيج طوال هذه الرحلة الممتعة . منطقة غنية بالزراعة المختلفة ، وقد اكسبها تقسيم الارض مجالاً خاصاً . فهذه قطعة تلعب فيها سكة الفلاح ، وأخرى انتهت فلاحتها فغدت حمراء نقيــة من الحجر والعشب اليابس ، وتلك ارض تموج فيها سنابل الارز وهاتيك تفتحت فيها جوزات القطن. ويتخلل هذه القطع المنتشرة جداول المياه للري . والفلاح على اختلاف مهماتـه يدور على هذه المظـلة تظلله من الشمس وتقيه حرّ الظهيرة ، بينما ابنته او زوجته تحمل اليه الماء والطعام . والفتيان في سن العاشرة يقودون قطعان الماشية ويوجهونها بهذه العصا الرفيعة نحو الاراضي التي تم حصادها او نحو المراعي القائمة على ضفاف الجداول تروي عطشها في هـــذا القيظ الشديد .

وهذا القطار الذي يحملنا ما عساه يفعل في اختراق هـــذه المسافات الطويلة بين الجبال وفي السهول ؟ وكيف يتخطى هذه الانفاق الكثيرة ؟ وماهو وده مع هذا النهر الذي يصاحبه ويلازم

الوادي في تعرجاته التي لا تنتهي ؟ واعضاء الوفود ما هي احاسيسهم نحو هذه الصفحات السندسية الساحرة في المراعي والاحراج التي تعكس صورتها مياه النهر الصافية ؟ وهذا الزهر وهذا العشب ، وهذه المياه في تكسرها على قطع الصخر، وهذه السنابل التي تبدو للفلاح املاً وخصباً – كل ذلك كان يعكس امامنا رؤى الجمال في ربى لبنان وعلى ضفاف بردى وعلى سفوح قاسيون. لا تعجب ايها القارىء اذا اسهبت في الوصف فانا اكتب تحت تأثير هذا الجمال الساحر في الطبيعة الخيّرة ، وسأذكر ما حييت هذه الربى الجميلة التي تطل على لوحات رسمتها يد الفن والابداع سيعجز الفنانون من الناس عن تقليدها مهما حاولوا . وشتان بين الجنوب والشمال ففي صحرائه دعوة صارخة الى جهد الأنسان ليعوّض ما ضنّت الطبيعة باعطائه .

وصلنا المدينة ، وكنا نرجو ان نجد فيها مثالاً للمدن الاوروبية جدّة وانتظاماً لانها تتصل بالعالم ، لقربها من الساحل ولصلتها بهونغ كونغ المستعمرة الانكليزية التي تشغل اكبر مركز مالي لتبادل النقد في العالم . وهونغ كونغ هي تكأة الاستعمار والاستغلال الانكليزي في الشرق الاقصى . وفرنسا والبورتغال تشغلان بعض اقسامها . والصين تسكت عن هذا الاحتلال موقتاً لاسباب سياسية تتصل بهذا الضغط الاميركي البادي في مساندة شان كاي شك في جزيرة فورموزا . ولكل هذه الاسباب تبدو المدينة تعبةً يكسوها الغبار والتشاؤم . وقد شغل اهلوها بمقارعة هذا التكالب الغربي على احتلال بلادهم

فهي مدينة الكر والفر، وقد صاحبها الاحتلال الاجنبي وفارقها اكثر من عشرين مرة، واضعفت الهجرة الاهلين فلم يقووا على تحسينها وتجميلها ، وهي على سعة شوارعها وتناسق البناء فيها تبدو قاتمةً واجمةً. وهناك كثيرون ينامون على ارصفـــة النهر وفي المراكب . وتدهش ان ترى هـــذا وان تسمع الى جانبه من سكرتير منظمة الشباب انه تم بناء منازل جديدة لعشرة آلاف عائلة تسكنها الآن بعد التشتت والتسكع على الارصفـــة وفي الضواحي . وهي آخر مدينة تحررت ، فزاد هذا التأخـــير في آلامها وضعفها ، وهي مع كل ما بذل ما تزال راكدةً عـلى جراحها ، وهي في حذر دائم من هذا الجوار البغيض . الانكليز في هونغ كونغ، وشان كاي شك في فورموزا ، والاميركيون يحتلون الارخبيل الصينيّ المقابل للساحل ، واليابانيون في الجوار وحكامهم اليوم في خدمة الاميركان .

يخترق نهر بيجو المدينة، وفيه ملاحة واسعة للبواخر الصغيرة، وآلاف المراكب تمخر فيه ويساعد على نمو الحياة العامة بما يأتي به الفلاحون من محاصيلهم . ويزيد عرضه على المئة متر وعـــلى ارصفته ينام الفقراء . ويطل عليه هذا الفندق الذي اقمنا فيه لنرى بوضوح كل آلام هذا الشعب وما عاناه من الاستعمار .

وتشبه شوارع المدينة شوارع القاهرة في هذه الاروقـة التي اقيمت دفعاً لاذى حرارة الشمس القاسية. والمخازن في ترتيب واجهاتها تشبه مخازن دمشق وحلب في احيائها الداخلية .

الشهداء في كانتون

في سنة ١٨٣٩ اقدم احد الضباط الصينيين سينكياتشو على حرق الافيون ومنع الفلاحين من زراعته . وعلى اثر ذلك قدم القنصل الانكليزي اليوت مع جنود كثيرة وهاجم كانتون ، واضطر الامبراطور لطرد الضباط واجبر على دفع غرامة كبيرة لجنود الاحتلال . ولكن الفلاحين تمردوا وهاجموا الانكليز وقتلوا منهم عشرة جنود ، واعلنوا المقاومة العامة . وحوصر جنود الاحتلال ، فارسل الامبراطور جيشاً ساعد البريطانيين على الافلات من الحصار ، ولكن خسائرهم بلغت عدة الاف بينهم عدد كبير من الضباط ، وانتهت المعركة بمفاوضات بين الانكليز والامبراطور ، والحقت هونغ كونغ ببريطانيا .

كانت حرب الافيون هذه وما عقبها من نتائج ، البادرة الأولى في مقاومة الشعب الصيني للاستعمار الاجنبي ، فيها اريقت القطرة الاولى من دماء ابنائه ، وفيها سقط الشهداء الخالدون . وقد تنبه الشعب الى فساد حكم الاباطرة الذين ما كانوا ليلتفتوا الا الى تسخير الناس في بناء عظمتهم الفارغة ، وترأس المفكرون الوطنيون حملة ايقاظ الشعب ، ونتج عن هذه الحركة الفكرية انتفاضات متقطعة ولكنها فشلت لضعف تنظيمها وسلاحها المادي ، ولم يكن الثائرون يملكون اكثر من اربعين بندقية . وبلغ عدد شهدائهم ٧٢ شهيداً خلّد الشعب ذكراهم في هذا النصب القائم على هضبة مشرفة . وعلى مدخل النصب اقيم قوس حجري نقشت

عليه هذه الكلمة « العدالة تعلو الى الأبد » وقد اوصى بكتابتها الدكتور صن يات صن . وتخليداً لذكراه بنيت قاعة مثمنة الاضلاع فيها ٥٥٠٠ مقعد وترتفع قبتها ١٢٥ متراً ، وقد كان يرتادها ضباط الكومنتانغ والاغنياء والاقطاعيون والاجانب ، وكانت محرّمة على الشعب . وفي عهد التحرير ادخلت عليها تحسينات كبيرة وتحولت الى قاعة للتمثيل والمحاضرات الشعبية .

جامعة صن يات صن

هذه الجامعة هي واحدة من ثلاث عشرة في الصين مهمتها إعداد ملاك للتدريس في المعاهد العالية . تأسست سنة ١٩٢٤ ، وسميت بجامعة كانتون ، واخيراً جامعة الدكتور صن يات صن ، وتشغل اليوم ابنية المؤسسة الاميركية الدينية التي كانت تعمل لغير مصلحة البلاد . وتحيط بالجامعة دائرة واسعة من الحدائق ، وفيها تسع كليات وفرعان للتخصص في الفيزياء والكيمياء الطبيعية والعضوية .

والدراسة كانت شكلية بالنسبة للأساتذة ولهواً وتسلية بالنسبة للطلاب. واليوم يتعاون الطلاب والاساتذة في تحضير المحاضرات وشرحها وتوضيح ما يلقى من الاساتذة بمناقشات جامعة ، ويوثق هذا كله بتجارب عملية في المختبرات الكثيرة .

وفي الجامعة ٢٨٠ استاذاً و ١٨٠ موظفاً و ٢٤٠ عاملاً ومكتبة كبيرة تحتوي على ٣٠٠ الف مجلد. وفيها مصادر يراجعها الاساتذة والطلاب في مختلف العلوم واللغات ، وعدد تلامذتها

١٥٠٠ ،ولاطفال الاساتذة والموظفين والعمال مدرسة ابتدائية ودار حضانة ، وللجميع ملاعب رياضية لا يحصى عددها .

مستشفى عمال النسيج رقم ١

انشيء هذا المستشفى من قبل الحكومة الشعبية لمصلحة عمال النسيج في سنة ١٩٤٩ ، وقد بدأ بستين سريراً وعشرة اطباء ، ثم تطور حتى بلغ مجموع الاطباء والعمال في سنة ١٩٥٣ — ٤٨٠ عاملاً منهم ٦٨ طبيباً و ١٥٠ ممرضة و ٤٤ موظفاً فنياً والباقي للأعمال . وهو يحتوي على ٤ مختبرات و ٨ آلات رئيسية للاشعة و ٤ غرف عمليات وغرفة للبنج . والمستشفى مقسم الى عشرة اقسام لكل قسم اختصاصيون منهم تسعة اساتذة في الجامعة . وتطبق فيها جميع التجارب الحديثة في التوليد والجراحة والامراض الجلدية . والمعالجة مجانية ، ويدفع المرضى ثمن الطعام ، ويخفض لعائلات العمال ٥٠ ٪ من الرسوم ، وتمارس فيه عمليات استئصال السرطان في المعدة وقطع الرئة المصابة بالتدرن والتوليد وعمليات الأنف والحنجرة والعين . ويوجد حمامات للشلل ومزارع للميكروبات على الضفادع بصورة خاصة ، كما يوجد دار للنقاهة ومدرسة للممرضات . وتسير البلاد في طريق تأميم الطب تأميماً كاملاً .

مصنع نسيج القطن

تأسس هذا المصنع في سنة ١٩١٨ وتأمم في عهد الحكومة الشعبية : وهو مقسم الى ستة اقسام رئيسية ثلاثة منها للغزل ،

وثلاثة للنسيج ، وهو مصنع كبير جداً ، والآلات التي تشتغل انكليزية ترجع الى سنة ١٩١٦ وهي تعمل اليوم جميعها بصورة اوتوماتيكية . ويصنع مثلها في الصين على شكل واسع . وفيها وسائل للتهوية وتنظيف الغبار وفيها مولدات خاصة للكهرباء . وفي جميع الاقسام شعارات تدعو لزيادة الانتاج . واهمها : « لا تفرطوا بالمواد الأولية » ، « دائماً الى الامام » ، « ساهموا في بناء الوطن الجديد » .



عمال النسيج في شنغهاي

يزور الاطباء العمال اثناء العمل لتلافي الحوادث الطارئة ، وفي المصنع عيادة طبية ، ومسرح يسع ٢٠٠٠ شخص . وفي سنة ١٩٣٧ صادره اليابانيون واستردته الحكومة الشعبية بعد انقضاء ثلاثة ايام على تحرير المدينة .

وقبل التحرير لم يكن يسمح للعاملات بالزواج ، والآن سمح

لهن مع حماية الامومة. وفترة الولادة ٥٦ يوماً مع أجرة كاملة . وسن التقاعد للعمال ٦٠ وللعاملات ٥٠ سنة. وفي حالة الوفاة تقدم مساعدة لعائلة العامل . وقد حلت ازمة سكن العمال بنسبة ٧٠٪ ويوجد اربعة دور حضانة و ٣٥ بيت استراحة و١٢روضة اطفال و ١٠ مدارس ابتدائية و ١٤ مطعماً لألفي عامـــل . ودرجة الحرارة في المصنع لا تزيد حتماً على الخمسة والثلاثـــين ، ويوزع البرتقال مجاناً لزيادة كمية الفيتامينات للعمال. ويعطى العمال تعويض شيخوخة حتى المات . وسن العمل يبدأ في السادسة عشر . ونسبة العاملات ٧٠ ٪ وهناك عطلة سنوية تمتـد شهراً ، وستة ايام للاعياد .

زيارة قرية تعاونية

في هذة القرية ممثل للحكومة يسمى المـدير ، وهو منتخب من أهالي القرية ، والوسيط المشرف على جميع شؤونها . ومساحة اراضيها ٥٥٠ هكتاراً تسكنها ٤٧٥ عائلة عدد افرادهـا ٢٠١٨ شخصاً. وتقوم فيها زراعة الارز والقطن والذرة. وقبل التحرير كان الاقطاعيون يملكون اكثرية اراضي القرية وللفقراء اقلهـا واسوأها .

وقد تحررت مع العاصمة سنة ١٩٤٨، وكان الشباب يختبئون في البيوت او يهجرونها خوفاً من التجنيـــد او التطوع القسري والتشغيل بالسخرة ، وكل اعتراض كان يقابل بالتعذيب . ولهذا كان مستوى الحياة منخفضاً والغذاء ضعيفاً والألبسة غير متوفرة.



أربع فتيات متفوقات في مصنع نسيج شنغهاي

وبعد التحرير اقيمت السلطات الموجودة اليوم ، وتأسست رابطة الفلاحين ، وطبق الاصلاح الزراعي ، وعومل الاقطاعيون كباقي الافراد ، واجبروا على العمل ، واعطوا ما يعطى للفلاح الوسط من ارض وماشية وآلات حراثة .

واقرضت الحكومة الفلاحين ١٦٠ مليون ين ، ونشط هؤلاء ، فتضاعف الانتاج ، وانتظم الفلاحون في ٢٢ فرقة تعاونية ، وتأسس كوبراتيف تعاوني اعضاؤه منتخبون .

وفي القرية مدرسة فيها ٣٣٤ تلميذاً ، ولم يبق من الأميين غير ٣٠ شخصاً فقط ، وذلك بفضل المدارس الليلية . ولا يوجد تراكتور في القرية .

زرنا بيت الفلاح «وانتمن» وهو مؤلف من غرفتي منامة وغرفة للأكل . والدار ملكه ونتيجة عمله . تزوج سنة ١٩٥١ . وكان يشتغل سابقاً لحساب اقطاعي في القرية ، وهو اليوم يماثله في الثروة ، ولكنه لا يشعر بالسعادة التي يعيش فيها الفلاح . وهو عضو في لجنة الكوبراتيف ، ويعمل بنشاط ، ويتحدث عن العهد الجديد وعن سعادته الحاضرة بحماسة .

وعلى مسافة قريبة من القرية توجد عيادة فيها طبيب . وفي المدرسة ٧ صفوف و ١٣ معلماً و ٣ موظفين . والمدير متخرج من دار المعلمين . والمدرسة ابتدائية كانت داراً لأقطاعي . ومن التلامذة ١٩٠ فتاة . والحكومة تمثل بخمس دوائر : الشؤون المدنية ، الثقافية ، المالية ، الأمن ، الانتاج . ومدير المركز رئيس جميع هذه الاقسام ، والاهالي ينتخبون عنهم

ممثلين في هذه اللجان يطلق عليم اسم معاون مدير . والمدير يعمل ويشرف على جميـــع الأقسام في الليل واوقات الفراغ . والكوبراتيف الزراعي يشتري الغلة ، ويمكن للفلاحين ان يبيعوا محاصيلهم في المدينة احراراً .

خزان لوانتين

من الأعمال الانشائية الكبرى سدان : احدهما سد نهـــر ووهان وهو سينقذ ستين مليوناً كان الفيضان يهدد حياتهم بصورة دائمة ، وقد وجه الزعيم ماوتسي تونغ نـــداء الى الشباب لكي يساهموا في الأعمال التمهيدية لبناء السد، ولبى النداء مليونان من الشباب بينهم عشرة آلاف جامعي اشتركوا مدة العطلة الصيفية .

والثاني هذا السد الذي زرناه وهو يبعد عن العاصمـــة ١٣٠ كيلو متراً،وقد اوشكت الاعمال فيه على النهاية .وتم بذلك انقاذ ثلاثين مليوناً من أخطار الفيضان .

والى جانب السد تقوم قرية لوانتين التي سمي السد باسمها . وطول النهر ٦٥٠ كيلومتراً، وينحدر مجراه في الشمال الى الاراضي السهلة في الجنوب ، ويروي مساحـة ٤٧٠٠٠ كيلو مـتر مربع من الارض . وقد سبقت محاولات كثيرة لبناء سدود تخفف وطأة الفيضانات ولكنها لم تكن كافية .

ووضعت مشاريع لتحويل مجرى النهر ، ولكنها بقيت على الورق . وفي سنة ١٩٤٩ تقرر بناء خزان لتحويل مجرى النهـر والاستفادة منه بارواء الاراضي التي يمر بها ، ودامت الدراسات

وعمليات التحضير مدة سنتين . وفي اكتوبر سنة ١٩٥١ بدأت الاعمال .

يقسم مشروع السد الى ثلاثة اقسام : قناة يمينية هي مجرى النهر في الاساس والسد في الوسط ، ثم قناة الامان لامتصاص المياه ودفعها في مجرى النهر من الطرف الايسر .

وطول القناة الاولى خمسمائة متر ، وقطرها ثمانية امتار . ومن اجل تخفيف ضغط المياه اقيمت عقبتان عند فتحة القناة ، وفيها ثمانية مجار للنهر ، وثمانية ابواب للتصرف والمراقبة . ويمكن ان تعلو المياه من هذه المجاري الى ارتفاع ٤١ متراً . والى جانب القناة سلم بشكل المئذنة تستعمل لنزول العمال الى اسفل القاعدة للمراقبة واصلاح ما تخربه المياه . وبذلك يمكن التحكم في المياه الناتجة عن الزيادة الحاصلة ايام الفيضان وتحويل مجرى النهر بواسطة السدود الى ناحية قناة الأمن . وطول السد ٢٩٠ متراً . وعلوه ٤٥ متراً ، وعرضه على السطح عشرة امتار . وينقسم الى الى اقسام ثلاثة : الأول يتلقى الصدمة الاولى وقد صنع بشكل يمكنه من امتصاص بعض الرشوحات القليلة ليكون الضغط على القسم الثاني مرناً ، وهذا القسم في الوسط وهو الأساسي من مجموعة السد ، وهو لا يرشح مطلقاً . والقسم الثالث هو في الجهة المقابلة لمجرى النهر ولا ضغط عليه ابداً .

أما قناة الأمان فيبلغ طولها ٤٣٠ متراً بعرض عشرة امتار وعلو ٤٠ الى ٥١ متراً. وعلى النهر آلات موضوعة على جسر اصطناعي لوزن ضغط المياه . وطول السد في القاعدة ٢٩٠ متراً

ثم يتسع فيما بعد من حين مجرى النهر بشكل حوض لاستيعاب ٢٢٧٠ مليون متر مكعب من المياه . وقد كان ضغط المياه اثناء فيضان سنة ١٩٣٩—٤٠٠٠ متر مكعب في الثانية، وسبّب ذلك اضراراً كبيرة . وفي سنة ١٩٣٥ بلغ الضغط ٣٧٠٠متر مكعب في الثانية ، ولم يحصل اي ضرر لأن قوة السد تتحمل ضغط ٨٨٠٠ متر مكعب في الثانية .

وأنجزت الاعمال في سنتين ، وسيكون السد مستعداً لتوزيع مياه الري ومياه الشرب في الاماكن المحتاجة واعطاء المصانع ما يكفي لتوليد الكهرباء . وقد استخدم اربعون الف عامل بصورة دائمة ولكن بعد ان تمت الاعمال الرئيسية هبط هذا الرقم الى ٣٠٠٠ عامل فقط .

وفتحت طرقات كثيرة لنقل المواد اللازمة لأعمال السد تمر بها السيارات الكبيرة للنقل ، وهي ممهدة وتحتاج الى اصلاح نهائي لتكون صالحة للسيارات العادية . ويوجد شرطة لتأمين السير وبيوت منسّقة لجميع العمال ومخازن لبيع الحاجيات لهم . وفوق كل ورشة مذياع لأذاعة الاخبار والأغاني ، وكان استقبال العمال رائعاً في كل ورشة .

وعلى الجبال المحطة بالنهر اقيمت ابراج لصد غزوات المغول في السابق . وبعد حفلة اقامها العمال لاعضاء الوفد في القاعة الكبرى المخصصة للتمثيل والسينما والمحاضرات، وودعنا هؤلاء الابطال بعد ان باركنا عملهم وتركناهم بين الهتافات المتصاعدة عائدين .

السور الكبير

تناولنا طعام الغداء في المحطة ثم اقلنا القطار الى السد الكبير المعروف بسد الصين ، وهو سور انشىء قبل الفين وثمانمائة سنة لصد غزوات القبائل المغولية الدائمة ، ويحيط بشمال غربي الصين كلها . وقد بني في اقسام سبعة ، وفي سبع فترات . وطوله كخط مستقيم ٢٥٠٠ كيلو متر وهو متعرج ولذلك يبلغ طوله عملياً ٥٠٠٠ كيلو متر ، وعلوه يختلف حسب ارتفاع الهضبات من ٦ الى عشرة امتار ، وفيه بعض الابراج والقواعد لسكنى الجنود ، ويحافظ عليه الآن كأثر تاريخي يأتي اليه السياح ، وهو جدير بالزيارة .

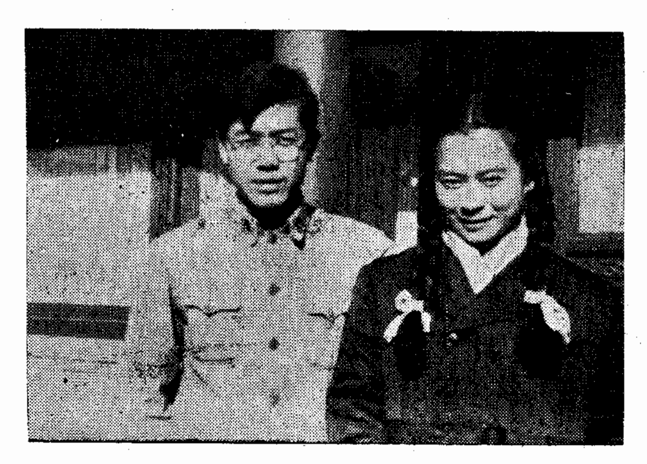
حديث مع المرافق تسه

هذا الشاب هو واحد من ثمانية عشر مليوناً من الشباب انتظموا في هذه المؤسسة التي تتعهد نهضة الصين الحديثة بروح عالية وحماسة بالغة . كان مرافقنا في هذه الرحلة والمترجم من الصينية الى الافرنسية. انتقل من الصف الثالث في كلية الهندسة الى قسم البرمجة في وزارة الاشغال العامة نتيجة الحاجة الملحة وضعف الملاك بالنسبة الى كثرة المشاريع وسعة البلاد .

هذه الفترة التي دامت شهراً في صحبة هذا الشاب كشفت عن كثير من فضائل اخلاقه ونفسه الكريمة ، وطالما الححت عليه في الحديث عن نفسه وكان يمتنع كغيره من الشباب تواضعاً منهم في

أن تاريخ حياتهم لا يحتوي ما يستحق التحدث عنه. وقد وجهت عتاباً لهؤلاء الشباب في حديث عن انطباعاتي في بـــلادهم فاضطر بعضهم لاجابة رغبتي الملحة وكان هو احد المستجيبين .

عمره ٢٦ سنة ، وابوه عامل بسيط وفقير ، وأمه فلاحـــة ، وكان ابوه يتألم من فقره ، لذلك هدف الى تعليم ابنه وتثقيفه كي لا يمرّ بمثل آلامه وفقره ، وليكون على درجة من الامكانيات العلمية والثقافية تمكنه من مساعدة عائلته في المستقبل . بدأ حديثه بهذا العرض الموجز وبعد فترة من التأمل وبكثير من مظاهر الألم تابع حديثه بقوله :



المرافق تسه صاحب الحـــديث

بعد انتهاء مرحلة التعليم الابتدائي دفع بي أبي الى التعليم الثانوي وقد بدأت اتفهم رغباته . وكنت ايضاً احسّ معه بألام الفقر وان عائلتي تجهد نفسها وتقتر في معيشتها من اجلي . وقد لاقيت

معهم شروطاً قاسية في الحياة واضطهاداً من رفاقي ابناء الاغنياء . كانوا يعاملونني بالازدراء على الرغم من اني كنت دائماً الأول في الصف . وقد ولّد ذلك عندي شعوراً مماثلاً لشعور ابي،وعرفت ان سلاحي الوحيد هو ثقافتي ، فلم اتخلّ ابداً عن هذه المرتبة في المدرسة . وكان ابي يتابع تصرفاتي ويطلع على جهودي فقويت آماله بأني سأنقذ العائلة من هذا البؤس المخيم ، وان مستوى عيشنا سيرتفع بعد انتهائي من المدرسة ، وشجع ذلك ابي على ارسالي الى الجامعة . وكان له اصدقاء يحبونه ويعطفون عليّ ببعض الهدايا عند زيارتي لهم في المصنع ، ثم اتسع عطفهم فشاركوا ابي في نفقات تعليمي ودفعوا القسط الأول الذي توجب دفعه وكان ابي عاجزاً عن أدائه. ثم حصلت بعدئذ على قرار الجامعة باعفائي من الرسوم فهانت قضية تعليمي بذلك .

كانت قريتنا ايام حرب التحرير ضمن دائرة المتحاربين ، ولوجودها على ساحل البحر كانت معرضة لهجوم اليابانيين ، فاضطرت العائلة الى الهجرة ، وجئت مع امي الى شنغهاي مشياً على الاقدام ، وكان عمري اذ ذاك عشر سنوات فقط .

واذكر اننا كنا نستجدي الطعام في الطريق ، ونرجو الناس اسعافنا لاضطرارنا الى تلمس الطرق الفرعية ، اجتناباً لاذى الجنود اليابانيين . وكان هدفنا ان نجد ابي الذي كان يعمل في شنغهاي . وقد زاد الجوع وطول الطريق من آلامنا ، وكنت اشعر ان امي تبكي فأشاركها البكاء .

وكان جدي ووالدة جدتي قد اختارا البقاء في القرية وأصرّا

على عدم مغادرة الارض التي تضم رفات آبائهم . وقد علمنا بعدئذ ان اليابانيين قد هدموا القرية بكاملهـــا واعدموا الكثيرين من سكانها وفيها أهلنا ، فبكتهم أمي كثيراً وكنت اسمع الكثـير عن وحشية اليابانيين فأشعل ذلك نار الحقد في نفسي وانا طفل . كانت جدتي الكبرى تحبني وتعطف عليّ كثيراً ، ولهذا بكيتها وما ازال ابكيها حتى اليوم . كانت لي اختان تعرضتا معنا لجميع صنوف الحرمان والألم . وحـــين لقينا أبانا كانت شروط الحياة صعبة وقاسية ، واغلق المصنع الذي كان يشتغل فيه ، فاضطرت اختي الكبرى للعمل في مصنع نسيج . كانت تشتغل عشر ساعات في اليوم والغذاء قليل فلم تتحمل ، واصيبت بالسل ، ولكنهـا بقيت تعمل من اجل إطعامنا رغم مرضها ، فكانت تقع احياناً من الاجهاد والمرض . عملنا كثيراً من اجل شفائها وبعنا كل ما نملك من اجل الغذاء والعلاج لها ، ولكــن ساءت حالتها اخـيراً ورأيتها مراراً تسعل وتفرغ بعض القطع من رئتهـــا . كنت ابكي مع امي لهذا الشقاء وهذا الألم . ثم ماتت اخيراً فبكيناها وبكينا لشقائنا لأنها كانت تساعدنا على الجوع . وبعـــد سنتين اصيبت اختي الثانية في مرض بالامعاء فأخرجها مـــدير المصنع وعادت الى البيت ، وعاشت هزيلة البنية مريضة حتى ماتت هي ايضاً .

كانت والدتي تبيع الخضار في الاسواق ، وكانت تصـادف بعض الحرس اليابانيين . وذات يوم ضربها هؤلاء بحجة انهـــا لم تحييهم والموها بوحشية، وضربوا ابي ايضاًبلا سبب . وكانت لنا امرأة

عم تعطف علينا في هذه المحن ولكن زوجها تعطل ايضاً عن العمل ، واضطرت امرأة عمي ان تعمل كخادم وان ترضع احد اولاد الاغنياء ، ولكنها فقدت اولادها الثلاثة من الجوع والجدري وفيهم كان الرضيع .

ثم دخلت الجامعة بطموح عظيم ، وكان هدفي دائماً ان اكون مهندساً كبيراً . وفي هذا اليوم فقط رأيت ابي يبتسم .

لم يكن عندي اي وعي سياسي او معرفة بالحياة الاجتماعية . كنت مغلقاً وكان همي ان احصل على وسائل المعيشة لأهلي ، ولكن أملي خاب بعد خيانة شان كاي شك ، وحضور فرق اميركية تحتل جميع المدن الكبيرة . فقد تعاون معهم وسلمهم مقدرات البلاد وثروتها . وحلّ الاميركيون محل اليابانيين بموجب اتفاقات عقدها معهم . وكان هؤلاء يعتدون على جميع الناس ، وخاصة سواقي الدراجات والبنات في الشوارع والبيوت. واغرقوا الاسواق ببضائعهم، فأصيبت المصانع بنكسة قوية بسبب المزاحمة واغلق كثير منها ابوابه ، وصُرف العمال .

ولهذا ارتفعت الصيحة من جميع الطبقات تنذر بوجوب انسحاب الاميركيين وانهاء الاحتلال الاجنبي . وامتلأت البلاد بالمظاهرات ، وتوالت الاحتجاجات . وكان الاميركيون قد اعتدوا على رفيقة لي في الدراسة اختطفها الجنود واغتصبوا عفافها ، وجرحوها بسبب مقاومتها . وقد نشر هذا الخبر في الصحف الصغيرة ، اما الجرائد الكبرى فقد اهملت نشره بتوجيه الكومنتانغ ، فلم يعد الشعب يطيق هذه المظالم . وساعد على

الثورة انتشار البطالة والجوع ، وازداد هياج الجماهير ، فكانت برقيات الاحتجاج والوفود تتوالى على الحكومة . واشتد الضغط بعد الاعتداء على الطالبة ، ونظم الطلاب اجتماعات عديدة في الجامعات والمدارس ، وقامت جامعة بكين بمظاهرة كبرى اشترك فيها الاهلون وقدموا الاحتجاج بشكل عام . وشاركت جميع المدن الصينية ، وتضامن اصحاب المخازن وجميع المواطنين ، وتشكلت وفود عديدة من جميع الطبقات . ولكن الحكومة تجاهلت كل ذلك والاميركيون يسخرون لضعفها امامهم ، فازدادت الحال سوءاً ، وتحرج الوضع الاقتصادي ، وتفاقم اضطراب النقد ، فكانت التقلبات تحصل عشر مرات في اليوم الواحد . واشتدت وطأة المحتكرين ، وكثرت المضاربات ، فأثر ذلك في جميع النفوس ، وتألمت انا ايضاً ونقمت على هؤلاء الذين يسببون كل هذه الآلام .

حينئذ صممت على النضال من أجل تغيير هذه الاوضاع لأنني شعرت بحق وطني عليّ ، فاشتركت في جميع المظاهرات ، وبدأت أتفهم السياسة ، وأهتم بحركة الطلاب والعمال . وكان ابي يحاول ان يصرفني عن ذلك ، ولكنني رفضت تدخله تحت تأثير شعوري ، فقد كنت متألماً جداً لوضع البلاد .

وقد سبق هذه الفترة انني عنيت بالمطالعة وبالقراءة في كتب مختلفة ، منها ما يبحث عن رأس المال ، ومنها ما يدور حول السياسة والاجتماع والقومية والوطنية . ثم عثرت على كتاب تاريخ تطور المجتمع ، وهذا الكتاب كان له الأثر الكبير في

تحويل مجرى تفكيري . فقد قرأت فيه تطور الانسان من عصر المشاع الى عصر العبودية والاقطاعية ، ثم عهد الرأسمالية . وعلى كتاب ثان هو المفهوم الفلسفي لحياة الانسان . واؤكـــد انني بعد قراءة هذين الكتابين تيقظت على حقيقتي كأنسان ، ودهشت لجهلي في الماضي ، واجتاحتني نوبـــة قراءة الكتب ، وكان ذلك نقطة التحول في حياتي نحو طرق جديدة في التفكير والعمل .

بدأت أتكون سياسياً واجتماعياً ، واشتركت في حركات النضال . وكانت حركة التحرير تتسع رقعتها ، وكانت تراودني فكرة الاشتراك في الحركة منذ سنة ١٩٤٨ ، ولم اجد نفسي إلاّ على باب القاعة المخصصة لقبول المجندين ، ولكن لم يُلبّ طلبي . فبقيت مع رفاقي في ملاك الدعاية والتحريض وتوجيه العمال من اجل المحافظة على المصانع ، واشتركت مع رفاقي بكل ذلك .

كنت اجهل قيمتي كأنسان ، ولكن توسعي في المطالعـــة ساعدني على تفهم انسانيتي ووجهني الى حرمـــة حق الآخرين . وحاولت التطهر من اوساخ الماضي ، فقد نشأت في محيط موبوء وكنت بسبب ذلك ضعيف الاعصاب ، ورغم فقري كان عندي مفاهيم بورجوازية غريبة ، ولهذا كنت اقدس الفردية واريـــد ارواء نفسي وحدها من مناهل الحياة . وكان الغرور يتملكني وكنت ارى انني ارفع منهم ثقافة ، ولهذا عجزت عن التعاون مع الغير زمناً طويلاً . وكنت اعتقد ان من حقي ان اكون رأساً فآمر وينفذ امري . كل هذا كان منافياً لما قرأته في الكتب اخيراً ، وعلمت بعدئذ ان وضعي هذا يتنافى مع مفـــاهيم

الديموقراطية. كم اتألم حين اتذكر هذا الحسد الذي كان يتأكلني. لا شك ان تفكيري كان عاطلاً وبعيداً كل البعـــد عن مفهوم الثقافة التي كنت أدعيها .

تأثرت كثيراً بالثقافة التي حصلتُ عليها في منظمة الشبيبـة ، فقد عدّلت الاتجاهات المنحرفة عندي ، وساعدتني عـــلى ابعاد الافكار القديمة . وكان ابرز الاساليب حلقـــات المناقشة والاجتماعات للانتقاد ، والانتقاد الذاتي . فعرفت حينئـذ نفسي على حقيقتها ، وبذلت جهداً كبيراً لتجنب الاخطاء والعيوب .

وبعد ان تشبعت بروح التعاون مع الجماعة ، بدأت التخلص من ضغط انانيتي. والفت معاشرة رفاقي والعمل معهم ، واحببت هذه الاشتراكية التي مكنتني من التحكم في ارادتي وتوجيهها لخير المجتمع .

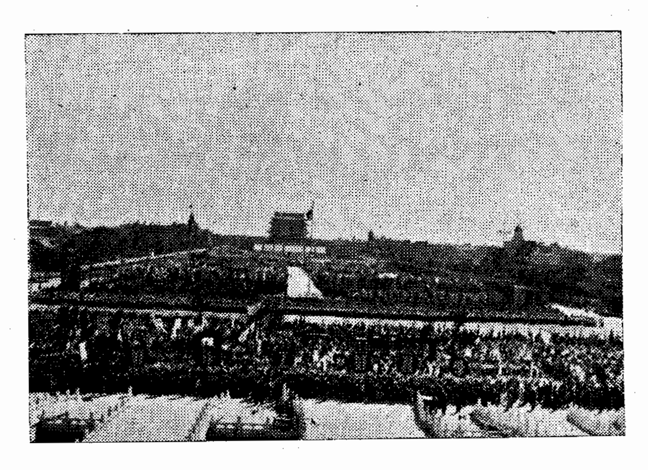
انني اسعى للحصول على عقلية تتفق مع عقلية الطبقة العاملة ، وهذا يبدو صعباً جداً للتفاوت القائم في الثقافة العامة ، ولكنني سأحاول ، وسيساعدني على ذلك ان المستوى الثقافي يرتفع بذاته عند الجميـع وسنلتقي كلانا .

انني اعمل الآن في قسم البرمجة بوزارة الاشغال العامة ، وقد استفدت عملياً اكثر ، ولا اريد ان اعطل مقعداً يستفيد منـه طالب آخر في الجامعـة . فالبلاد بحاجة الى ملاك كبير ولهذا لم تعد قضية عودتي الى الجامعة الا قضية الحصول على شهادة ، وهذه ليست مهمة جداً في الوضع الحالي . والتشبث بهـــا ليس إلا مظهراً من مظاهر الانانية، وهذا ما اريد ان ابرأ منه والتخلص .

عيد اول اكتوبر

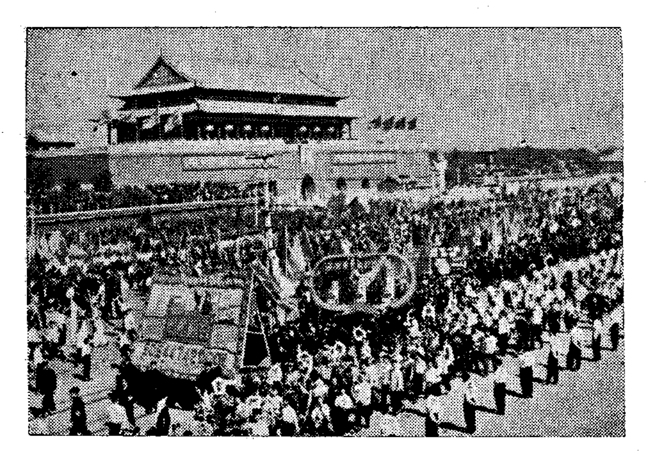
تهيأت بكين لهذا العيد، واعدّت له الشباب والطلاب والعمال والفلاحين ليشتركوا باحياء الذكرى الرابعة لاعلان الجمهورية الشعبية بحماسة منقطعة النظير .

وفي صباح العيد كانت فرق الجنود تفد الى الساحة الكبيرة لتأخذ مكانها وفي طليعتها فرقة الموسيقى المؤلفة من ٥٠٠ جندي ، وطلاب الكلية العسكرية وعددهم ١٦٠٠ ، ثم طليعة المدرعات والبحرية والطيران والهندسة والمدفعية ، و ٢٠٠٠ منا لمشاة ،



الجماهير في عيد اول اكتوبر

و ١٨٠٠ من الخيالة و ٤ بطاريات مدفعية كبيرة ، ثم المدفعيات الآلية وقاذفات الطوربيد ، والمضادة للطائرات ، والمضادة للدبابات ، والانوار الكاشفة ، ثم المدفعية الثقيلة على الجرارات ، وناقلات الجنود ، والمظليون ، والدراجات النارية ، ثم الدبابات ، والمصفحات . وكانت تحلق في سماء العاصمة طيارات الاندفاع

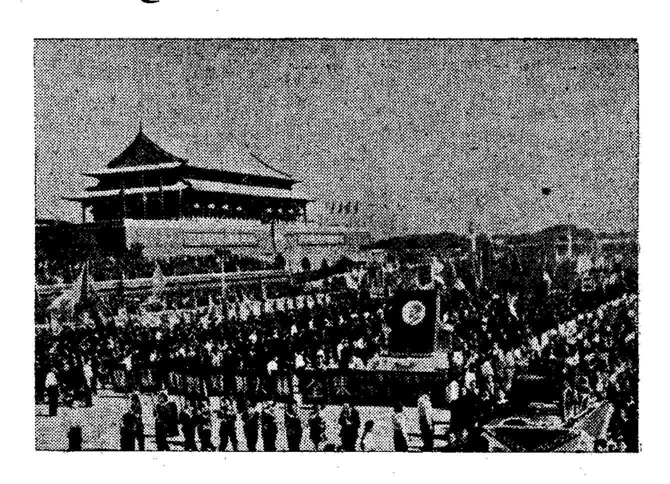


الاستعراض الكبير في عيد اول اكتوبر

الذاتي واسراب القاذفات .

وفي الساعة العاشرة كان الزعيم ماوتسي تونغ قد اخذ مكانه في الشرفة المطلة على ساحة العرض التي تكبر كل ساحات العرض في العالم على ما اقدر . وعزفت الموسيقى اعلاناً لبدء العرض العسكري الذي استهله القائد العام بالطواف على سيارة وقوفاً . وبعد ان استعرض فرق الجيش والسلاح عاد الى المنصة الرئيسية ، وأبلغ الزعيم تحية الجيش . ثم القى خطاباً تناول فيه السياسة العامة ،

ونهضة الصين الكبرى ، ومهمة المسئولين في تصنيع البلاد وتحسين الانتاج ،وتعلق الشعب الصيني بالسلام. وحين انتهى بدأت المدفعية بالأطلاق ايذاناً ببدء المهرجـان ، وتحركت قطع الجيش بنظام



استعراض الشبيبة في اول اوكتوبر

بديع تمر امام منصة الزعيم الذي كان رافعاً يده بالتحية . ومـا ان انتهى العرض العسكري حتى بدأت صفوف المنظمات والعمال والطلاب والفلاحين تتقدمهم لوحة كبيرة كتب عليهـا : « كن دوماً مستعداً » .

وليس في وسع اي كاتب ان يصف عظمة المهرجان ، وهذه الجمـــاهير التي تلاحقت تحمل اعلامها وصور القادة في جميع الديموقراطيات الشعبية . وكان العمال يحملون نماذج الانتـــاج وتطور الصناعة واللوحات التي كتبت عليها ارقـــام الزيادة في الانتاج لسنة ١٩٥٣ ونماذج للقاطرات والسيارات والمصانـــع

الحديثة ، وهياكل لأبنية المصانع الجديدة والمؤسسات الاجتماعية ، وكان الفلاحون يحملون نماذج الانتاج الزراعي المتصـــاعد . ثم الطلاب والرياضيون. ودام هذا العرض اربع ساعات اشترك فيه مليونان من الشباب والعمال والفلاحين ، فقـد كانت صفوفهم متراصة والصف الواحد لا يقل عن الخمسمائة . وكانت الوفود تقف في المدارج التي أعدت لهـــا بجانب المنصة الرئيسية . وقد جاء الزعيم الى الناحية القريبة من هذه المـدارج وحيّا الضيوف الوافدين من جميع انحاء العالم وبـلاد الصين ، وقابلتـــه الوفود والجماهير بالتصفيق والهتاف ، ثم اعلن انتهاء المهرجان على عزف الموسيقى وهتافات الجماهير الكبيرة .

رحلة الى جنوب الصين

في الساعة الواحدة من يوم ٥ تشرين الاول سنة ١٩٥٣ تركنا بكين على قطار خاص ، ووصلنا في الساعة الحادية عشرة من يوم ٧ منه الى شاطىء نهر يانغسين وهو من اكبر الانهر الصينية ، ويبلغ عرضه كيلو متراً واحداً ويعادل في اهميته دجلة والفرات في العراق . وفيه تمخر البواخر ناقلة الاشخاص والبضاعة الى موانىء كثيرة منتشرة على ضفتي النهر الذي يصب في البحر الاصفر .

اجتازت عربات القطار النهر على عوامات بخارية مخصصة لذلك . ووصلنا مرفأ نانكين ، المدينة العظيمة التي اتخذها شان كاي شك عاصمة لحكمه بدلاً من بكين ، وقد افاد ذلك المدينة كثيراً وساعدها على النمو والعمران . وكان في استقبالنا ممثلو منظمة الشبيبة في المدينة . وانتقلنا بعد التعارف الى دار كبيرة في حديقة واسعة . وتحيط بالدار مبانٍ كثيرة تشكل جميعها دائرة كانت لأحد الاقطاعيين ، ثم وضعت بعد التحرير تحت تصرف المنظمة .

أقام شان كاي شك في هذه المدينة مدة عشرين سنة ، وكان يظن ان النهر يحمي المدينة من جيوش التحرير . ولما اشتد

الضغط عليه احرق جميع المراكب الموجودة ، ولكن جنود التحرير اقتحموا هذا النهر العريض على وسائل خشبية في غاية البساطة وباغتوا جيش الكومنتانغ ، فلم يقاوم كثيراً . واضطر الى التسليم ، وفرّ الماريشال الى الجنوب . ويزيد عدد سكان نانكين على المليون . وفيها جامعات كثيرة ، منها جامعة خاصة بالفتيات .

في هذه المدينة الخالدة دفن ابو الصينيين الدكتور صن يات صن العظيم . وهذا اللقب معروف عند جميع الصينيين . وقد زرنا قبره قبيل المساء ووضعنا الزهر على قدمي التمثال المصنوع في فرنسا تخليداً لذكراه ، وهو تمثال من المرمر يقوم على قاعدة فسيحة مزينة بالفسيفساء ، ثم زرنا قبره صامتين احتراماً لبطولة هذا الرجل العظيم الذي يمجده كل فرد في الصين .

صعدنا الى القمة التي أقيم عليها القبر على مدارج متعددة وفسيحة ذات ٣٦٤ درجة . والقمة تشرف على مدينة نانكين إشرافاً مشرقاً ، وفي كل سنة يحتفل الشعب والسلطة بذكرى مولد صن يات صن ووفاته . ويحيط بالقمة رواب يتجلى منها جمال الطبيعة وسناؤها وهي منتزه الشباب ومكان اجتماعهم في افراحهم .

مقبرة الشهداء

في خارج المدينة وعلى جبل يسمى جبل الازهار وبين قمم منتشرة جبلت تربتها بدماء الشهداء ، يرقد هؤلاء الابرار الذين

زاد عددهم على المائة الف من الشبـــاب الذين كان يؤتى بهم من بكين وشنغهاي وغيرهما من مدن الصين ليحـــاكموا صورياً ، كما يحاكم الاحرار دائماً ، وليعدموا عـــلى هذه القمم . وعلى هذه القمم المقدسة كانت تتم المجزرة وتجري دمـاء الشهداء انهاراً في سنة ١٩٢٧ وقد مثلت فـوق ارضها مشاهد خالدة في البطولة والعناد في الحق ومقاومة الباطل. وكلما امعنت السلطات في اطلاق يدها لتزيد عدد الضحايا آلافاً ، كانت آلام الشعب تتكشف عن ملايين جدد في ساحات النضال العنيد .

ففي سنة ١٩٤٩ تجمع ممثلو طلاب الصين في العاصمة نانكين ، واجمعوا على وجوب انهاء الحرب الاهلية ، وتشكيـل حكومة ديموقراطية ، وابعاد شان كاي شك عن الحكم ، ومقـــاومة الاستعمار. وكان شان كاي شك قد شعر بقرب النهاية، نهايته ونهاية الاستعمار الذي يخدمه ، فاستعمل في اخماد المظاهرات الـتي قام بها الطلاب جميع انواع القسوة والوحشية . وفيما كانت الطبيعـة تمنح الناس عطراً ودفئاً في شهر نيسان ، كان البوليس والجنود يطلقون النار على الطلاب. وزاد عدد الشهداء كلما ازداد عنادهم في المقاومة . ولكن جيش التحرير قضى على هذا الظـــلم بتحريره المدينة يوم ٢٠ نيسان سنة ١٩٤٩ . وما كان لشان كاي شك الا ان يفرّ ناعماً هانئاً بجلده ورأسه ، وترك القمم وحـــدها تحتضن الشهداء وتنشر عبير عطرهم ، وتحمل شرف ضمهم الى تربتهـا المقدسة والشهادة لهم بما قدموا من غالي الحياة ، هـذه التضحيات التي يشير اليها التمثال القائم ليخلد ذكرى هؤلاء . والجبل والقمم اليوم محج لجميع الصينيين يلثمون التربة ويحنون هاماتهم عنـد

قاعدة التمثال ، ويمجدون ذكراهم في العمل المتواصل لاكمال ما بدأه الشهداء . وقد اشتركنا بتأدية الواجب في تخليد ذكرى هؤلاء الابطال ، وتركنا اكاليل الزهر تحمل عطر العاطفة الجياشة التي كانت تجيش في نفوسنا فأودعناها هذه الزهور عند قاعدة التمثال ، وعدنا يحمل كل منا جزءاً من التربة الطاهرة التي اختلطت بدماء الشهداء .

صن يات صن

ولد هذا الرجل العظيم في سنة ١٨٦٥ ، وتوفي سنة ١٩٢٥ ، وهو ابن فلاح وشقيق لتاجر من هونولولو . تزوج وانجب ولداً ذكراً كان هو وأمه مع رب العائلة في رحلة الى هونولولو ، وبقيا هنالك . وعاد صن يات صن الى بلاده . ولاسباب خاصة طلق الزعيم زوجته وتزوج من سكرتيرته التي صاحبته في عمله خمس سنوات ، وهي اليوم نائبة رئيس مجلس الوزراء . وقد عهد اليها بهذا المركز مكافأة لخدمات زوجها ولخدماتها الكبيرة في الحياة الاجتماعية ايام زوجها وبعد وفاته .

كانت هذه السيدة هدفاً لاضطهاد شان كاي شك وزوجته التي هي اختها ، ولم تكف عن النضال ، واشتركت في جميع ادوار التحرر الوطني ، وهي اليوم موضع ثقة الزعيم ماوتسي تونغ واحترام الشعب .

وفي سنة ١٩١١ قام الدكتور صن يات صن على رأس ثورة انتهت بخلع أسرة مانشو وانتخابه رئيساً للجمهورية ، ولكنه لم

يوفق كثيراً في تحقيق الغاية الأساسية للثورة ، وهي توحيـــد الصين . فقد احتفظ القواد العسكريون بالمقاطعات التي وصل اليها كل منهم عن طريق الثورة على أسرة مانشو ، فلم تتم الوحدة كما كان يرجو ، ومع ذلك فقد بقي في الساحة يناضل ضد الاستعمار الاجنبي الذي كان شره قد استفحل ، ويناضل الاقطاعيين والقواد العسكريين .

ثم قام برحلة الى اوروبا واميركا في سبيل تحرير الصـــين ، وتعددت رحلاته بعد ذلك . وفي سنة ١٩٢٤ سافر الى الاتحـاد السوفياتي واقتنع بصحة ووجوب الاتفاق مع السوفيـات ، فاتم ذلك بعد مفاوضات ، وعاد ليواصل كفاحه . فقام في سنة ١٩٢٥ بثورته المعروفة التي استهدف فيها وحدة الصين نهائياً ، ولكنه توفي في آذار من السنة نفسها . وكان شان كاي شك من المقربين اليه ، يتظاهر بمساندته وتأييده ، ولكن ما ان انتخب خلفاً له في رئاسة الجمهورية حتى انقلب وكانت مذبحة شنغهاي بتدبيره ، وهي مذبحة كبرى يذكرها الصينيون بمرارة وألم ، وكان وقودها مائة الف من اهالي شنغهاي يشهدون على الوحشية والظلم اللذين رافقا عهد الكومنتانغ .

وفي سنة ١٩٢٩ نقل رفات الزعيم الخالد الى الضريـح الذي ينام فيه هانئاً بتحرر بلاده من الاستعمار . وفي سنة ١٩٣٥ صنع التمثال القائم في باريس .

مدينة هانشو

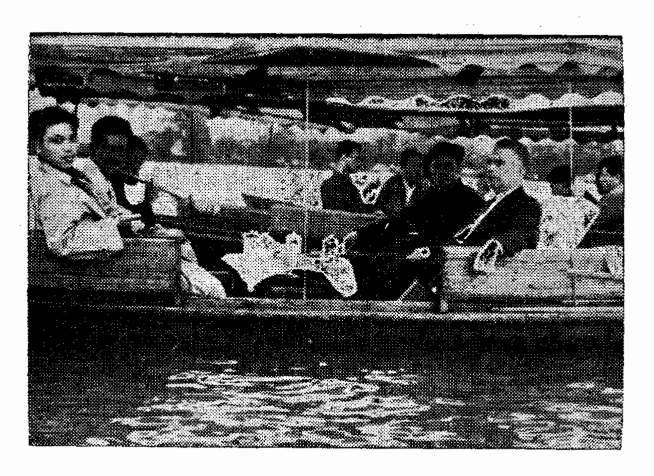
كان صباح يوم الوصول الى هذه المدينة الجميلة عـــلى مطر خفيف، وكان المنظر من الفندق القائم على ضفاف البحيرة ساحراً، وقد تناولنا طعام الافطار في الصالة المطلة على البحيرة ، وامامنا هذه الجبال الخضراء في الضفة الاخرى من البحيرة ، والهدوء يخيم يصاحبه رذاذ خفيف من المطر ، وكان صباحاً رائعاً وبداية جميلة للحياة في هذا المصيف .

والبحيرة تكونت من رسوب الطمي الذي كان ينقله النهر . وقد بنيت المدينة فوق هذا الطمي، وكان ذلك منـذ الفي سنة واهتم احد اباطرة الصين في إعمار المدينة سنة ٩٧٥ م واشتهرت بمناخها المعتدل في جنوبي شرقي الصين . وفي سنة ١١٢٩ م جدد بناءها امبراطور آخر واتخذها عـــاصمة لملكه الواسع ، وانشأ فيها القصور والمعابد ، وغدت مقر الحكام والخاصة حتى تحررت في ايار سنة ١٩٤٩ ، ودخلت اليها الحياة الشعبية وصارت مصيفاً ومنتزهاً يؤمه السياح والشباب ، وهي اليوم بلد الاستجمام وراحة العمال والموظفين .

وهي تقع على المجرى السفلي لنهر شانتان وملتقى خطـــين حديديين. وفي جانب المدينة قناة تمتد الى مدينة كيانتسو ، وقد

اصلحت مجاري المياه وفتحت الطرق الجديدة ، وعبدت الطرق القديمة ، واقيم في ضواحيها بيوت استراحة للعمال ومستشفى لجنود البحرية .

والطبيعة اضافت الى مكانتها التاريخية سحراً وجمالاً يرفعان من قيمتها. وترى ذلك في البحيرة وما يحيطها من جبال اكتست الحلل السندسية على ارتفاعها. وساعدت البحيرة التي تبلغ مساحتها خمسة كيلو مترات ونصف مربعة وشواطئها البالغة خمسة عشر كيلو متراً ، على تلطيف المناخ ، وتقوم اليوم حفريات تزيد في عمق البحيرة للغاية نفسها .



جولة في بحيرة هانشو

وفي البحيرة الغربية (كما يسمونها) اقيمت سدود قسمتها الى اقسام وخلجان في بعض زواياها ، وعلى ضفافها مدينة رياضية تسع ٢٠٠ الف من الزائرين ، ومسابح ، وملاعب ، ومكان للتزحلق ، وملعب خاص بالاطفال ، والف غرفة لراحة

العمال . وتقوم ابنية أخرى كثيرة وحديقة عامة مساحتها ٢٠٠ هكتار ، ومشاتل كبيرة نموذجية لتربية الاشجار والازهار. وفي وسطها بعض الجزر ، ومنها جزيرة خاصة لـنزهة الامبراطور وخلواته الكثيرة . والمدينةبشوارعها وطابعها تشبه المدن الصينية ولكنها تزيدها بما ذكرنا من جمال الطبيعة وتنظيم الانسان . وفي البحيرة منارة تضيء اقسام البحيرة في الليالي الهادئة لتسترشد بها زوارق العشاق والشباب .

وما عدا ذلك فهنالك جزيرة كبيرة تعلوها هضبة ترتفع مائة وخمسين متراً عن سطح البحر ، ويسمونها جبل العزلة ، مساحتها خمسائة متر مربع وهي محرّجة ومشرفة على جميـــع اطراف البحيرة . ويقوم على الهضبة بناء كان الامبراطور يأتي اليه للنزهة . وكانت هذه الجزيرة محرمـــة على الشعب ، وهي اليوم ملتقى الاصدقاء والادباء والفنانين والمصورين . وفي الخامس عشر من كل شهر يصعد الكثيرون لرؤية غروب الشمس وشروق القمر في آن واحد . وعلى الهضبـة بعض الامـاكن الاثريـــة والنقوش والتماثيل ، وقبر في قاعة كبيرة عليه شاهد من الحجر نقشت فوقه كتابات صينية . وفي زاوية الشاهد شاهد صغير ملصق به مكتوب عليه بخط جميل بعض الآيات من القرآن . وفي اعـلاه « كل نفس ذائقة الموت ». وبعد الاستقصاء عن هذا الاثر العربي قيل لنا ان المدينة كانت تهـدمت منذ ستمائـة سنة . ومنذ اعادة بنائها ورفع الانقاض عثر في المقبرة على هذا الحجر ووضـــع في جانب الاثر الصيني . والمعروف ان التجار العرب كانوا يفدون الى هـــذه

السواحل منذ القديم ، ولا يعرف تعليل آخر لوجود هذا الحجر الذي يثبت قدوم العرب الى هذه البلاد . على ان مدينة هانشو تضم الى سكانها البالغ عددهم ٦٠٠ الف ١٠٠٠ مسلم ولهم جمعية دينية تلاحظ شؤونهم ، ولهم جامع يصلون فيه .

ولم تكن هذه المدينة ذات انتاج اساسي، ويعتمد اهلوها في معاشهم على السياح والانتاج المحلي . وفي سنة ١٩٤٩ تحولت الى مدينة انتاج وصناعة للأقمشة الحريرية والمقصات والشاي . وعدد العمال فيها ١٠٠ الف ، وفيها دار ثقافة وخمسة معاهد علمية بمستوى الجامعة يؤمها ٥٠٠٠ طالب ، و ٣٠ مدرسة ثانوية فيها ٢١ الف طالب و ٢٦٠ مدرسة ابتدائية فيها ٥٦ الف طالب كما ان هنالك مدارس ليلية يأتيها ٦٠ الف عامل يتلقون دروساً دورية .

الجبل الطائر

في الاساطير القديمة ان احد الآلهة في الهند حمل هذا الجبل الى مكانه من مدينة هانشو وعلى بعد كيلو متر منها، وعلى صخوره نقشت رسوم للآلهة في مختلف الحالات. ويتخلل اجزاءه كهوف كثيرة عليها مئات من هذه التماثيل حتى يخال المرء نفسه محاطاً بالالهة والمعابد والصور والرموز . انتقلنا الى هذا الجبل على سيارات سارت في الممر الكبير البالغ طوله كيلو متراً واكثر وعرضه عشرين متراً وهو احد السدود التي تفصل اقسام البحيرة، وعلى جانبيه اشجار تمتد الى قمة الجبل . وفي الافق القريب ،

الافق المحاط بالاشجار والغابات ، وعلى ضفة البحيرة تنتشر البيوت الجميلة . وفي وسط هذاالابداع كله تنبسط البحيرة الغربية وفي وسطها الجزر والمنارة، فيتكون من ذلك كله انسجام بديع بين هذه الاجزاء برسم لوحة ساحرة فتانة . وكل ذلك قريب الى النفس وداعٍ لبهجتها وحبورها .

وفي الدهشة التي تحيط بالزائر من عظمة هذه الطبيعة الخلابة يشعر انه اطل على الجبل الطائر بعد اجتياز الحدائق وابنية العمال ومستشفى البحيرة ، ويبدأ بزيارة المعابد التي لا تعد لكثرتها ، ولا تُصَوَّر فخامة ما فيها من آثار وتماثيل لبوذا في مختلف الاوضاع . فهناك الـه الفرح يطمئن عن الحياة ، وحوله اربعة من الملوك حراس السماء ولكل منهم سلاحه الخاص في دفع العدوان عن الأله العظيم بوذا . وتمثال لالـه يحمى من الشيطان وتطارد فرسانه الابالسة ، واكثر ما يكون عملها في شهر تموز على ما تروي الاساطير. وتمثال عظيم لالـه يمنح الأولاد للعاقرات، حوله اربعة وعشرون من الحكماء ومعبد لثلاثة من الألهة يتوسطهم بوذا ، وقد بلغ ما عددته ستمائة تمثال لبوذا لكل منهم مهمة ما يزال بعض المسنين يعتقدون ان الالهة تؤديها لخير الناس، على ان الاكثرية الساحقة كانت مع عبادتها لبوذا تتعلق بتقاليدها القديمة القائمة على حكمة كونفوشيوس. وهذه التقاليد تقدس الآباء والاجداد ، ولهذا فان عبادة الصين تقوم على احياء ذكرى الآباء وتقديسهم وتخليد ذكراهم بمواسم معلومة . اما اليوم فان كثرة الناس وخاصة الشباب منهم تحولوا عن هذه الآلهة التي يقولون

انهم اخلصوا لها آلافاً من السنين ولم تفدهم ، وان ماوتسي تونغ وهو انسان افادهم اكثر من كل هذه الخزعبلات . اما الحكومة فانها لا تتدخل وتترك الناس على سجاياهم ،ولكنها تعنى في الوقت ذاته بالجيل الناشيء وتوجهه نحو الماركسية وحدها .

جبل التأمل

في اعلى الجبال المحيطة بالمدينة والبحيرة تقوم هضبة تعلو ثلاثمئة متر عن سطح البحر ، والمسافة اليها ثلاثة كيلومترات يقطعها الزائر صاعداً اما على قدميه او على محفّة يحملها شخصان . وكثيرون هم الذين يتعيشون من هذا العمل لكثرة الزوار من الغرباء واهل البلاد . وللصاعدين مشياً اماكن للاستراحة على طول الطريق الصاعدة ، وأمكنة واسعة لاستراحة الجماعات تشرف على المدينة والبحيرة والقمم المجاورة ، ولكل منها جمالٌ خاص يختلف باختلاف موقعه من الجهات الاربع . ويهتم الزائرون بشروق الشمس على المساحات الواسعة بما فيها البحيرة والمدينة والحدائق والقمم وسحر الطبيعة في الليالي المقمرة . والجبال محاطة بالاحراج السندسية ، وفي هذا كل معاني الحب والجمال والسحر والشاعرية .

وفي الوسط فسحة مستقلة بذاتها كانت ممراً لنهر شان تاو الذي يسيل الآن في مجراه وراء الجبال المحيطة بالبحيرة والمدينة . واصبح مجرى النهر على اتساعِهِ يشكل الجناح الأيمن لهذه اللوحة الجميلةمن الطبيعة الفرحة الضاحكة الهامسة في أذن الأنسان كثيراً

من النصائح بأن الحياة جديرة بلفتةٍ صادقة من الأنسان نحوها ، وان الهناء والسلام هما هدف الانسان العاقل المحرر من الأنانية والطمع .

ويقوم على هذا النهر جسر كبير . وفي النهر ملاحة تزيد في رخاء السكان ، وخط حديدي يخترق هذه القطاعات الهندسية التي عُني الفلاحون بتنظيمها وزراعتها وابدعوا في تخطيطها ، ولعلهم خجلوا من الطبيعة لو أهملوها، وساعدوا في إسباغ الجمال على هذه الأراضي الحافلة بالزرع والزهر والعطر والجمال .

وكانت لنا سياحة جميلة في البحيرة نهاراً، وفي ضوء القمر ليلًا. وساحلها كما تراه في مثل هذه الزيارة تنتظم رؤاه في هذه المصابيح المنتشرة على ساحل البحيرة انتشار النجوم في السماء ، فيبدو المنظر فاتناً للغاية ، وينتزع منك اعجابك بهذا المصيف الذي عني به الانسان ليكون مأمن نفسه من نوازع المدن الصاخبة ، وراحة جسمه من عناء العمل وصخب الحضارة المادية . فهذه الانوار التي تتوزع من منافذ الدور لتنعكس على المياه الهادئة ولتتجاوب مع نجوم السماء في الهالة التي احاطت بها البحيرة وتفسح فيما بعد للقمر ان يطل في تؤدة حتى يسطع نوره وينجلي بهاؤه حين يصبح في يومه الثامن ويتقدم الى يومه السادس عشر فيأتيه الناس وهو في قمة المجد ليقدسوا نوره وليصفّوا في صفاء الطبيعة نفوسهم التي أخلصت العبادة وجسمتها في هذه المتعة ، وفي هذا التقدير ، وفي هذا الحب الذي لا ينتهي عند الشباب الذي يملأ البحيرة مجذفاً على طرفي قارب يحمل صبابة الشباب ،

وتحية قيس وليلى ، ونداء عذرة في ارق معاني النداء . والناس في طبيعتهم يهتدون الى هذا الحب في الصحراء وعلى ضفاف الأنهر، وفي البحيرة ، والغابة ، وعلى الجبل . والشعراء يدركون هذا كله بأحاسيسهم التي لا تنضب ثم يحملونها الى الناس متعة وجمالاً ويضفون عليها من سحرهم وهم في هذا خالدون .

معبد طاوى

هذا المعبد الغريب في بنائه ومكانه ينطق بفلسفة غريبة فريدة في نوعها قال بها الفيلسوف الممثل في هذا التمثال القائم في المعبد صارخاً في هؤلاء الناس الذين يعيشون في اضطراب دائم ان يعودوا الى فلسفة الحياة : فلا يبالوا بما يصادفهم من مصاعب تعوق صفاء نفوسهم وفرحها ولذتها . وهو كالفيلسوف اليوناني ابيقور ولكنه اكثر منه صراحة في دعوته الى اللذة . واذا كان الفيلسوف اليوناني قد حظي بمن كتب عنه وخلد مذهبه فان الفيلسوف الصيني على ما ارى لم تتجاوز حدود دعوته هذه الجبال المحيطة بمدينة هانشو وبحيرتها .

ويروي اهل البلاد سبب بناء هذه الصومعة على وجهين : الاول انها اقيمت لأخضاع نهر شان تاو في حالة الفيضان . أما الرأي الثاني فهو ان الصومعة اقيمت تخليداً لذكرى اتفاق الممالك الستّ ضد مملكة تشن التي كانت تغير على هذه الممالك وتحاول اخضاعها .

والصومعة تقوم على قريب من معبد طاوى في فسحة من

البلاط وقاعدة مثمنة الاضلاع والمسافة بين ضلعي المثمن عشرة امتار ، ثم تعلو هذه القاعدة طوابق يصغر حجمها كلما امعنت في التعدد والارتفاع حتى تصل الى خمسة وستين متراً او اربعة عشرة طابقاً . ومن اعلاها يشرف الزائر على البحيرة والمدينة اشرافاً تاماً يبدو مختلفاً عن الذي يبدو في مواقف مختلفة من منتزهات المدينة والقمم التي تحيط بها . ولكل طابق شرفة يعلوها غطاء منسق يقي من الشمس والمطر . وكثير من السكان يزورون الصومعة للعبادة والصفاء والتأمل والاصغاء الى صوت السماء . حقاً لقد اعجزت هذه البلاد عقول الناس في محاولة ادراك اسرارها وتفهم تاريخها على ضوء هذه التماثيل وعلى ضوء هذه الرموز البوذية الممثلة في عشرات الآلاف من الصور والرسوم والنقوش . وقد لاحظنا ان الصوامع تكثر غالباً قرب الانهار والجسور وتحفظ فيها كتب البوذيين ، وفي بعضها هياكل رمزية قَبَلية .

زيارة مدينة تيانتسين

في البرنامج زيارة مدينة تيانتسين الصناعية ، وقد وصلناها في الساعة العاشرة من يوم ٢٤ ايلول سنة ١٩٥٣ ونزلنا فندقها الكبير القائم امام حديقة البلدية وبنايتها الفخمة . وهذا الفندق كان ملكاً لاحد البريطانيين ومرتعاً للمقامرين، وهو اليوم في ادارة الحكومة وخدمة الشعب . يرتفع الى تسعة طوابق ويتسع لخمسمئة زائر . وفيه صالات فخمة ، ومصاعد ، ووسائل للتنوير والتهوية ، ويعمل فيه صينيون مدربون . ويقدم الطعام فيه على الطراز

الاوروبي .

تنتشر المصانع في المدينة لصناعة الغزل والنسيج والسجاد والورق والدراجات وصناديق السيارات والاوتوبوس ، وصناعة خفيفة للمطاط. وعدد سكانها مليونان، وشوارعها نظيفة جديدة ، وابنيتها فخمة ومنسقة ، وفي كل زاوية اوعية للنفايات والبصاق .

تكثر الجاليات الاجنبية في المدينة من رعايا الدول ذات العلاقات الديبلوماسية مع الصين ، كانكلترا وهولندا ، وفنلندا والاتحاد السوفياتي والديموقراطيات الشعبية ، وسويسرا .

في جوار الفندق بناء المصرف الانكليزي الصيني سابقاً وهو اليوم المصرف الوطني ، وبناء تشغله شركة صينية سويسرية (سبير هانكرز زوريخ)وهي فرع للمبادلات التجارية ومركزها هونغ كونغ . ويلاحظ وجود شركات اجنبية عديدة بمشاركة الصينيين . والسلطات تراقب عمّال هذه وتتساهل في السماح لهم بالعمل بسبب حاجة البلاد للخبرة ورأس المال .

مصنع غزل الصوف في تيانتسين

هو مصنع خاص تراقبه الدولة وتوجهه ، تأسس سنة ١٩٢١ وكان مهملاً وفي دور الانحطاط ايام الاحتلال الياباني والكومنتانغ ، ومعرّضاً للسيطرة الحكومية وهجوم الرأسمال الاجنبي. والغزل الاجنبي كان يدخل البلاد بلا رسوم فكانت فترة قلق ومزاحمة واضطهاد . ولكن كل هذا تبدل بعد سنة ١٩٤٩ مع الاستقرار وحماية الرأسمال الوطني من المنافسة وحماية العمال

وتطور الاقتصاد الوطني بصورة عامة . ولم يجمد العمال واصحاب العمل ، وشجعتهم الحكومة ، فدرسوا علاقاتهم مع السلطات وحصلوا على مساعدات كبيرة . وهذا المصنع كسائر المصانع الخاصة يسير على منهاج موجه يقوم على مصلحة العمال والمستهلك وصاحب المصنع .

وكان الهدف سابقاً تحقيق اقصى حد من الربح واهمال كل شيء ما عدا ذلك . فالسياسة الجديدة انتجت علاقات حسنة بين اصحاب العمل والعمال ، وكان حصاد ذلك عملاً مخلصاً لتحقيق الهدف العام في زيادة الانتاج وضمان مصالح جميع الفرقاء ، فلا خلاف بعدئذٍ .

ولا بد ان يتخلل سير العمل بعض التناقضات بين مصالح العمال واصحاب العمل ، فكل المشاكل تحل بواسطة لجنة التحكيم . وعند عدم الاتفاق يرجع صاحب العلاقة الى مكتب العمل الحكومي ، ولكن قلمّا روجع هذا المكتب بسبب حسن النية عند الجميع .

يقول مدير المصنع : لقد صادفنا صعوبات اولية بسبب كساد الطلب وتحويل الاهتمام لتأمين حاجات مصانع أخرى ولكن جميع هذه الصعوبات تذللت فيما بعد بمساعدة الحكومة وتعاون العمال . وفي هذه السنة زاد انتاجنا ٢٧٪ عن انتاج السنة الماضية ، وبهذا تحسن مستوى معيشة العمال ، وقد كانوا يعانون ازمات لا تنقطع بسبب تقلبات النقد التي كانت مستمرة هي ايضاً .

والنظام الجديد كفل للعمال مجانية الطب والتعليم وتعويض المرض والشيخوخة والأمومة . وقد بنت الحكومة لهم في سنة ١٩٥٢ ستمائة شقة للسكن ، ودور حضانة للأطفال ، وحمامات عامة ، وملاعب رياضية ، ومكتبة .

اما علاقة المصنع بالاقتصاد الوطني فقد نُظمت بعد ابحاث طويلة واجتماعات بين اصحاب المصانع ومديريها وممثلي وزارة الاقتصاد الوطني . وهي تشتغل بصورة عامة تحت اشراف الوزارة ، وتلبي طلبات الحكومة ضمن منهاج معين ومدة محددة واسعار متفق عليها .

والتوجيه يكون باجتماع جميع هؤلاء لدراسة الكلفة ونوع الانتاج وطرق تحسينه وملاءمته لطبيعة السوق ومصالح جميع الفرقاء . وكلها تجد عملاً فلم نصادف بعد هذا ازمات لأن علاقاتنا تقوم على الحق والمنطق . والاقتصاد الموجه يساعد على تطور المصانع الخاصة ايضاً لأن امكانياتها تتسع بالمساعدات التي تقدّمها الحكومة بصورة دائمة .

الانتاج حسب الطلب والطلب موجود دائماً . ونحن ندفع ضرائب عن الانتاج فالرأسمال الوطني هو بازدهار ثوري لانتفاء مزاحمة الرأسمال الاجنبي ، وبفضل التعاون الشامل . وهكذا تحتل البورجوازية الوطنية مكانها في الجبهة الوطنية المؤلفة من العمال والفلاحين والرأسمالية الوطنية والبورجوازية الوطنية الصغيرة .

وبعد تغير الوضع السياسي في البلاد نما الشعور الوطني وتكتّل . وقد تتساءلون كيف يعيش الرأسمال الوطني مع

الاتجاه الاشتراكي . هذا سؤال ردّده الكثيرون قبلكم وسنجيب عليه بكل حرية .

ليس ادعى الى سعادة الانسان من ان يساهم في بناء الوطن المشترك ورفع مستوى الطبقات المحرومة ، متى تأمنت مصالحه وزال قلقه . فالمسئولون يعملون مع مصلحة المصانع ، والمصانع تلبي طلبات الجماهير . وفي الفترة الاشتراكية تصغر الرأسمالية كطبقة ، ولكن القائمين عليها يحافظون على مكانتهم كبشر اذا اخلصوا لوطنهم . وهم في هذا الجو يعملون في حقل التعاون والمصلحة المشتركة ، يفيدون ويستفيدون .

مصنع للغزل خاص ايضاً

وانتقلنا الى معمل خاص آخر مديره مساهم وعضو في شركة تدير اربعة مصانع ، وفي هذا المصنع حمام للعمال ، ودار حضانة ، وباحة واسعة للرياضة ، ودار للمعاينة الطبية ، وصيدلية ، ومسرح ومكتبة ، وقاعة للاذاعة ، ومخزن للعمال ، ومطعم ، وقاعة احتفالات .

يقول المدير : عندي سيارة خاصة من طراز اميركي ، ولا بأس بأبدالها بسيارة من صنع وطني ، وأملك داراً اسكنها وسأبقى مالكها في النظام الاشتراكي . اولادي احدهم عمره ٢٩ سنة وهو استاذ في الجامعة ، والثاني طبيب ، وابنتي مديرة المعهد الموسيقي ، وعندي ثلاثة آخرون يدرسون مجاناً ، واولادي الكبار اعضاء في منظمة الشبيبة ، وهم يلحون عليّ لتسليم المصانع

وتحويل ملكيتها للدولة لأنهم لم يعودوا في حاجة الى الأرث . ومع اني لا أزال احافظ على ملكيتي الخاصة فأنا أرى ان الزمن سيحقق اهداف هؤلاء الشباب . وسيتساوى الجميع في التحرر من القاق والتمتع بجميع الفرص والامكانيات .

مكتبة بكين

هي اكبر مكتبة في الصين ، واحدى المكتبات المشهورة في العالم . تأسست في القرن الرابع عشر ايام الامبراطور مين . وفي سنة ١٩١٢ حولت الى مكتبة عامة ثم نقلت الى مكانها الحالي سنة ١٩٣٠ . ومحيط المكتبة مؤلف من حديقة كبرى واربع بنايات اخذت من اقسام القصر الامبراطوري وعدد المجلدات فيها مليونان ، و ٥٠٠ الف مجلد . وعشر الكتب فيها بلغات اجنبية وقد اصبحت في متناول الجميع ، وتحولت الى جامعة صغيرة لتثقيف الجماهير .

في المكتبة مخطوطات صينية قديمة في المعارف والحكمة الصينية ، وفيها أقسام لكتب مطبوعة نقلاً عن مخطوطات في القرن الحادي عشر . وتحتوي على مجموعة قيمة من كتب الفلسفة والأدب ، وكتب كثيرة من غربي اوروبا وبلغات شعوبها .

وقد اتخذ مجلس السلم العالمي المعقود في بكين سنة ١٩٥٢ قراراً يقضي بتشجيع التبادل الثقافي بين الشعوب ، وخدم هذا القرار المكتبة واغناها بهدايا كثيرة . وجرت مبادلات في الكتب مع الاتحاد السوفياتي والديموقراطيات الشعبية . ويهتم الأدباء الصينيون

بالأدب العالمي والثقافات الاجنبية ، ويعتمد في ذلك على ادباء كثيرين من الغرب ساعدوا بتقديم مؤلفاتهم .

وفي سنة ١٩٥٢ اقيم مهرجان لأربعة من الكتاب العالميين هم ابن سينا وفيكتور هوغو الافرنسي وغوغول السوفياتي ، وليوناردو دافنشي الايطالي . وفي سنة ١٩٥٣ اقيم مهرجان الكتاب لاحياء ذكرى كوبرنيك البولوني ، ومارتي الافرنسي ، ورابله الكوبي ، وجووان الصيني . وقد حضرت المهرجان مع الوفود التي اشتركت بتكريم هؤلاء الخالدين .

وفي صالات المطالعة ٦٠٠ مقعد . والقراء يؤمونها كل ايام الاسبوع ويبلغ عددهم اكثر من الفي مطالع في كل يوم . منهم الاساتذة الاختصاصيون والطلاب والعمال والفلاحون . وتقام لهؤلاء محاضرات واجتماعات خاصة تساعدهم على التوسع في المعلومات العامة . وترسل الكتب الى المصانع . وقد اطلق على هذا التنظيم اسم المكتبة الجوّالة . وللمكتبة فروع في القرى من اجل تعميم المطالعة في جميع الحقول الصناعية والزراعية . وتعنى ادارة المكتبة بأذاعة نشرات دائمة عن تطور الوضع الثقافي العام .

في المكتبة فرع خاص لتلقي الأسئلة والأجابة عليها . ويعمل بمبدأ اعارة الكتب عن طريق المنظمات والهيئات النقابية ، وتصرف الجهود لتحقيق انسجام المستوى الثقافي مع المستوى الاقتصادي ، وتعطى الأهمية لذلك عن طريق المحاضرات والاجتماعات ، ويعنى بالادب التقدمي عند الادباء الصينيين والاجانب .

ويجد المطالع حاجته من المراجع في مختلف العلوم والقواميس

في جميع اللغات . وقد نظم الفهرس حسب التفرع العلمي .وتبذل الجهود لرفع مستوى المكتبة وتلبية حاجة الجماهير النامية . وجميع الكتب مصنّفة . وللمجلات والصحف قاعة خاصة مزينة برسوم العظماء في التاريخ والادباء والعلماء والمفكرين . وفي الممرات والمدارج معارض لرسوم هؤلاء ومخطوطات حجرية محفوظة ضمن إطارات بللورية .

وبين الكتب كتب عامة ثقافية ، ومؤلفات في الموسيقى والفنون الجميلة والعلوم السياسية والحقوقية والفنية واللغات والأدب .

وقد شاهدنا خمسة مجلدات كبيرة عن صناعة السينما ، وثمانية مجلدات للتاريخ السياسي والأدبي للمطبعة (هدية من فرنسا) وخمسة مجلدات عن التمثيل المسرحي ، وكتب كيف تتعلم اللغة بنفسك (عن طريق الرسوم والصور) وموسوعة لاروس ، والموسوعة البريطانية .

وفي المكتبة ٢١٠ غرف مختلفة الاتساع ، منها غرفة مطالعة لتسهيل مراجعة الاختصاص في البناء والكهرباء والكيمياء والتاريخ والجغرافيا ، وستّ صالات لمطالعة الصحف والمجلات لتسهيل تثقيف العمال والفلاحين . وفي المكتبة العربية الصغيرة مصحف مُسطر على غلافه « مصحف بكين مدرسة المعلمين جندا بكين ١٣٥٤ هـ » .

ولا رسوم مطلقاً على المطالعة والمحاضرات والمؤتمرات . وتقبل الاقتراحات في فرع خاص ، ولأعارة الكتب فرع خاص ايضاً .

زيارة المدرسة الثانوية

بدأ المدير حديثه عن عناية الأدارة بالصحة العامة والمساعدات التي تقدم للاساتذة وبصورة خاصة السيدات منهنّ . فقال : في مدرستنا عيادة طبية دائمة تعطى فيها العلاجات الأولية ، ويجري الفحص الصحي للجميع اساتذة وطلاباً ثلاث مرات في السنة . وتعطى المعلمات تعويضات أمومة ، والحاملات يقبضن المعاش مع فرصة ثلاثة اشهر . والحكومة تساعد في بناء للمدرسة على قطعة من الارض مساحتها ١٥٠٠ متر مربع . والمدرسون لهم نقابة تعنى بشؤونهم وتنظم علاقاتهم مع ادارة المدرسة .

ولدينا مكتبة تحتوي على ٢٦ الف كتاب ، و ٧٠ فانوساً سحرياً ، وجميع ادوات الايضاح للدراسة الابتدائية ، و٥ بيانوات وروضة للاطفال . ونحن على تعاون وثيق مع اهالي الاطفال من اجل غذائهم وصحتهم ، وعندنا قاعة للاساتذة ، واخرى للاجتماع والمحاضرات ، وغرفة للتحليل وعدد كبير من الخرائط لتركيب الاجسام الحيوانية، ومختبر جغرافي فيه رسوم نافرة للجبال والوديان والاقنية والانهر ، وآلات كهربائية ، ورسوم في الحديقة لتنظيم حياة التلامذة في البيت والمدرسة ، ومكتبة للأطفال تعتمد على الرسوم . ولكل صف صندوق

للثياب ولوازم المدرسة يتناسب مع السن وعنـــدنا قاعة للفيزياء والكيمياء ومختبر غنيّ ، وعشرة مجاهر ميكروبية ، وقاعة سينما للاطفال وآلات العاب الرماية والحبل والطارة وصنارة الصيـد للتلامذة في سن العاشرة .

الثقافة العامة

تعريف الاستعمار ونضال الشعوب ،والعناية باستقبال الزائرين والوفود لتنمية حب الغير والروح الاممية في نفوس الطــلاب. ولكل صف مسؤول ، وكل مادة لها متخصص باللغة الصينية . والعطلة يوما الأحد والسبت بعد الظهر . وعمـــل المدرس ١٠ ساعات بين تعليم وتحضير ونشاط نقابي. وفي كل صف ٢٥--٣٠-- ٤٠ طالباً ، والتعليم مجّاني ، وجميـــع النفقات تغطيها الحكومة . والقاعدة في التدريس تطبيق النظري عـلى العملي ، رؤية عمليـة وتدريس نظري . وما لا يمكن جلبه للمدرسة تعمل له رحلات خاصة . وبعد تعريف الجغرافية الطبيعية تعطى معلومات عن الشعب الساكن والعلاقات مع الصين . وفي التاريخ تـــدرس طبائع الشعوب وتعلق الشعب المبحوث عنه بالسلم ، وكل هـذا سيبقى اثره في نفوس الطلاب . ونحن نعنى في التعريف التطبيقي بالمظاهـــر الطبيعية كالمطر والبرق والنور والرعد وتأثير البيئة الطبيعية ونظرية نقل المزروعات لمناخ مختلف .

وفي علم الاجتماع نوجه الانظار الى ما يجري حول الطالب من احداث ونسأله عنها ، ثم عن المؤثرات في المظاهر الثقافية . ومن

ذلك يبدأ في تعريف العلماء والأدباء وأبطال وقواد وزعماء النهضة العلمية والصناعية والزراعية . وفي التاريخ نعرّف الطالب بالحضارة الصينية والاضطهاد في الماضي ومقايسة تلك الاوضاع مع العهد الحاضر ، ونعرّفه بالروابط الانسانية وحسن الجوار وندعوه الى رفض فكـرة الاعتداء والترويج لفكرة السلم والصداقة مـع شعوب العالم .

زيارة الطلاب

كان الطلاب يتمرنون في الحديقة استعداداً للاشتراك في حفلات عيد اول اوكتوبر . وفي احد الصفوف كان تلميذ يقود الفرقـة الموسيقية والطلاب ينشدون وفقاً لنوط على لوحـة الصف . ثم اسمعتنا تلميذة قطعة عـلى البيانو ، وانتقلنا الى صف آخر كان الاطفال فيه يتمرنون على الرسم . وامام كل واحد منهم مجموعة من الاقلام الملونة : هذا يرسم تفاحةً ، وآخـر بيتاً ، وثالث باخرة الخ .

وفي صف آخر كان التلامذة يستمعون الى قصة من معلمتهم ، وفي الرابع العاب رياضية عـلى الآلات ، وفي الخامس نشيد ورقص . ولا قصاص في المدارس ، والطفل هو دائماً الطفل الذي يحضر الى المدرسة ليثقف لا ليعاقب .

ووهان

هي مدينة سياحية مؤلفة من ثلاث مدن : هانكو وونشان

وهان يانغ. وتقع على نقطة تقاطع نهري يانغسي ووهان. وتقوم في اليانغسي ، النهر الكبير الذي يزيد عرضه على الكيلو متر، ملاحة" واسعة تزيد في اهمية المدن الثلاث ، وعلى شرقي النهر تقوم مدينتا شنغهاي ونانكين وفي غربيه مقاطعة سوتشوان .

وعدد سكان مدينة ووهان ١٤٠٠٠٠٠ ، وتقسم الى خمسة احياء كبيرة ، والضواحي تقسم الى أربع مقاطعات. وهي مركز ثقافي واقتصادي لجميع المنطقة . تأسست سنة ٢٦٠٦ قبل المسيح ، ومن سنة ١٢٧٦ الى سنة ١٦٠٠ كانت من اكبر مدن الصين الاربع : بكين ، شنغهاي ، نانكين ، هانكو - ووهان .

ولهذه المدينة في تاريخ الثورة المعاصرة تاريخ مجيد . وفي سنة ١٩١١ قضي على سلالة مانشو المالكة ، واعلن الدكتور صن يات صن الجمهورية الصينية بعد الثورة التي بدأت في مدينة وونشان . وكان لطلاب الجامعة اثر كبير في حركة سنة ١٩٢٣ التي انتهت باعدام ٣٩ شخصاً وجرح ٣٠٠ شخص ونفي خمسمئة . وفي فترة التحرير ساهم طلاب الجامعة أيضاً في حماية المصانع من التخريب .

تقوم الجامعة على جبل لوتشاو بالقرب من البحيرة الشرقية ، وهي اليوم مؤلفة من تسع كليات : اللغة الصينية وآدابها ، اللغة الروسية وآدابها ، كلية التاريخ، الحقوق ، الاقتصاد ، الرياضيات، الفيزياء ، الكيمياء ، علم الحياة . وفيها معهد خاص لدراسة ادارة المكاتب ، ومعهد لكيمياء المياه ، وعدد طلابها ٣٥٧٠ وأساتذتها ٣١٥ استاذاً وهي على بعد سبعة كيلو مترات من مدينة وونشان .

يحيط بالجامعة غابة كبيرة فيهـــا ممرات منظمة ، واحسن الشروط الملائمة لتأمين جوّ دراسي ممتاز لوقوعها قرب البحـيرة واشرافها على البحيرة والمدينة من جميع اطرافها .

كان وضعها سيئاً ، وكان اولاد الاغنياء مستأثرين بجميـــع المقاعد ،وكان الاساتذة مهملين لواجباتهم ، وكانت الحرية مفقودة ، وكان الاشتراك بالحياة السياسية امراً يعاقب عليه بشدة ، وقد تصل العقوبة احياناً الى الاعدام .

وعلى اثر اعلان طلاب شنغهاي ونانكين نضالهم ضد الحرب الأهلية والضائقة الاقتصادية والجوع في سنة ١٩٢٣ اجتمع ١٧٠٠ طالب من جامعة ووهان واعلنوا بدء النضال بمظاهرات قويـة بدأت بالاحتجاج على الوضع العام الذي كان يزداد سوءاً . ودام الغليان حتى اول حزيران من السنة نفسها . وعلى اثر ذلك حضر الف مسلّح بمدافع الهـاون والرشاشات والمسدسات وحاصروا ابنية الجامعة وشددوا الحصار على الطلاب . واشتدت وحشيتهم واستمروا حتى مطلع اليوم التالي لحركتهم ومقاومتهم. وهاجموا سيارة كان فيها المعتقلون من الطلاب وحاصروا قائدهـــا . واشتعلت نار الثورة فقتل ثلاثة ، وجرح ثمانية عشر من الطلاب فازدادت حماسة الباقين ، وهـــاجموا قوة البوليس ، وخرقوا الحصار ، وانقذوا بعض رفاقهم الموقوفين ، وتنادى الطـــلاب والعمال في المدينة لمعاونة اخوانهم في الجامعة ، وجُمعت التبرعات ، وتضامنت جميع البـــلاد مع الطلاب ، فاضطرت الحكومة الى اطلاق سراح الموقوفين .

وقد تخرّج من الجامعة منذ سنة ١٩٤٩–٢٤٧٥ طالباً يملأون مراكزهم في جميع الاعمال الاقتصادية والثقافية والفنية والادارية. وقد تطوع منهم مئات للاشتراك في حرب كوريا . والتعليم مجاني . والطلاب على درجة عالية من الحماسة للمساهمة في نهضة البلاد ، وهم لا يخشون المستقبل فالمراكز والاعمال تنتظرهم .

حي العمال في شنغهاي

في سنة ١٩٢٠ تشكلت لجنة بلدية وضعت منهاجاً واسعاً لبناء مساكن للعمال في شمالي شرقي وشمال غربي المدينة ، ووضعت لذلك تصاميم دعت مندوبي العمال لمناقشتها . وبعد اقرارها بوشر في البناء سنة ١٩٥١ وقد تم منها اربعة احياء زرنا منها حي « شويان » .

يتألف هذا الحي من ستة اقسام كل منها يحتوي على ٧١٣ بناية وتضم ٥٩٠٠ عائلة يبلغ عدد افرادها ٣٠ الف شخص وكل بناء مؤلف من طابقين ، وكل طابق يحتوي على دارين ، وكل بيت مؤلف من غرفتين او ثلاث غرف لسكنى العائلة ، وفي الطابق مطبخ مشترك .

في الحي اربعة حمامات عامة . وفي كل شارع مركز لتوزيع الماء الساخن مجاناً ، ومدرسة ثانوية لأهل الحي ، و ٤ مدارس ابتدائية فيها ٢٥٠٠ طالب ، وروضتان للاطفال فيهما تسعمائة طفل ، ودار للثقافة ومخزن عام ومركز صحي ، ودار حضانة . وقد اعدت ارض صالحة لبناء مستشفى ودار سينما في سنة ١٩٥٤

دفعت الحكومة جميع نفقات البناء ، وعهدت الى لجنة محلية باستيفاء الاجور ، وهي لا تتجاوز الخمسة في المائة من ايراد العامل الشهري ، وما يتجمع من ذلك ينفق في اصلاح ما يتوجب اصلاحه ، ولا تسترد الحكومة شيئاً من النفقات الاساسية .

يحمل الاهالي بطاقات شراء من المخازن العامة باسعار مخفضة .

ويوجد صالون حلاقة يعمل فيه عشرة عمال والاجور فيه زهيدة جداً .

وكان اكثر العمال يسكنون في العراء وعلى سطوح المراكب في النهر ، وبعضهم في الطرق . وقليل منهم من كان يسكن بيتاً والبيوت القديمة غير صحية وتدلف اليها امطار الشتاء . والذين انتقلوا الى الدور الجديدة ينعمون بحياة صحية ومدنية . والشوارع معبدة والشمس والهواء في متناول الجميع . ولكل شقة حديقة صغيرة . وينتقل العمال من امكنة عملهم واليها في باصات منظمة . وقليل منهم يستعمل الدراجة الخاصة به .

وكانت الساعة الثانية عشرة حين خرج الاطفال من دار الحضانة مالئين شوارع الحي ، وطلاب المدرسة الابتدائية الذين احاطوا بنا ، وجميعهم يلبسون الصدارات البيضاء وجميعهم بصحة جيدة ، واحاط الاطفال باعضاء الوفود يحيونهم ، ويتمسكون بهم فرحين ، وكان ذلك مؤثراً جداً. وقد زرنا المدرسة الابتدائية وكل ما فيها يبهج الصدر : تنظيم ، وانسجام ، وامكانيات واسعة لتعليم الاطفال . وفي غرف التواليت حنفيات سهلة الاستعمال ، ولكل طفل منشفة صغيرة مرقمة تحمل اسمه .

وعدد التلامذة ٣٦٣ ، والمعلمات والموظفين ١٨ وهناك غرفة اسعاف صحي . وفي الحي دار للفحص الدوري لجميع اطفال الحي وتماثيل لاطفال مصابين بالامراض التي يصاب بها الاطفال عادة كالجدري ، والصلع ، والرمد ، والكبد وغير ذلك .

وفي زيارة بيوت العمال دخلنا الى بيت عامل كان في عمله ، واستقبلتنا زوجته ، وأجابت على سؤال لنا انها وزوجها كانا يسكنان داراً تدلف اليها مياه الامطار. وبقيا مدة عشر سنوات لا يملكان مع اطفالهما الا بطانية واحدة، وهم يعيشون الآن في حال احسن بكثير، والدار مؤثثة بذوق وبنظافة . وقد تحسنت اجرة العامل لنشاطه ، وبامكانه ان يشتري لهم جميع الحاجيات فهم سعداء .

في الحي فرع للمصرف الوطني هو اشبه بصندوق الادخار للعمال ، والمبالغ التي يوفرها العمال تعطى لهم عنها الفائدة حسب المدة . والمصرف يقرض البلدية والعمال انفسهم حسب الحاجة بفائدة قليلة وشروط سهلة للدفع .

وفي الحي دار للثقافة تحتوي على صالة كبيرة للمناقشة في شئون العمال وللمحاضرات ، وقاعة للمطالعة ، ومعارض صور عن تطور وضع العمال ، واعلانات رياضية ، وجريدة الحائط ، وقاعة للتسلية ، وصالة كبرى للتمثيل والغناء والرقص من فرق يشكلها العمال .

بيوت الاستراحة

في ضاحية قريبة من الحي الارستوقراطي سابقاً بنيت للعمال بيوت استراحة في حديقة واسعة ، وعددها اربعة بيوت ، تستفيد جميعها من الشمس والهواء ، وتسودها السكينة التامة والنظافة. وهي مخصصة لراحة العمال الذين يأخذون اجازاتهم الدورية . وللنساء شقة خاصة ، وجميعها مجهزة بالحمامات ، ومكتبة وصالة مطالعة ، وصالة تسلية . وتقام حفلات سينما ورقص، وكان يؤمها يوم الزيارة ١٤٧ عاملاً يحمدون هذا العهد الذي وفر لهم كل هذا .

في دار الطلائع

نظم الشباب حفلة ساهرة في دار الطلائع اشترك فيها فتيان وفتيات الطلائع ، وكان البرنامج غنياً برّز فيه ابناء مقاطعة سيكيانغ الاسلامية باناشيدهم الجميلة ورقصاتهم القومية الرائعة . والبناء كان يملكه بريطاني مقيم في هونغ كونغ ، واستأجرته الحكومة شكلياً . وهو من اروع القصور التي كان يتمتع بها الاجانب . وقاعة الرقص قلّ نظيرها الا في قصور الملوك لما فيها من نقوش وما علق في سقوفها من ثريات فخمة . ويحيط بالقصر حديقة فخمة . ولعل في هذا العرض ما يفيد عن حياة الاجانب الذين كانوا ينعمون بخيرات البلاد ، والى جانبهم اصحاب البلاد يعيشون في فقر وبؤس ، ويدفعون ثمن نعيم الاجانب من حياتهم

ومعاشهم بينما يتبارى المسئولون في خضوعهم لهذا الاجنبي وتقديم الضحايا .

اللهم اني تعرفت الى عدالك بعد ان رأيتك تعيد الى الشعوب المهضومة حقوقها ولو بعد حين .

مستشفى الجراحة

هذا المستشفى تابع لكلية الطب ، وكان تأسيسه في سنة ١٩٢٧ ،وقد احتله اليابانيون، ولكن امكن نقل جهاز المستشفى والاطباء والممرضات والمرضى الى الجنوب الغربي من الصين . وفي سنة ١٩٤٥ انتهى الاحتلال الياباني واعيد ترميم المستشفى وأضيفت اليه اقسام جديدة . ويحتوي اليوم على ٥٠٠ سرير .

وعدد الطلاب في كلية الطب الفان ، والمستشفيات التعليمية خمسة : الطب الداخلي ، الاطفال ، الجراحة ، العيون والانف والحنجرة ، التوليد والامراض النسائية .

وفي مستشفى الجراحة هذا ٥٠٠ سرير و ٧٣ طبيباً و١٠٧ ممرضة عدا الموظفين الاداريين والمستخدمين .

ويقسم المستشفى الى سبع وحدات ، كل منها يرأسها اخصائي . والعمليات يجريها الاساتذة في كلية الطب والاطباء الدائمون .

وكانت المعدات تستورد من الخارج وكلها تصنع الآن في البلاد . وقد بلغ عدد المراجعات في شهر ايلول ٩٥٨٥ وبلغت العمليات في ستة اشهر ١٠٠٤ عمليات .

مصنع الصباغات وطبع الاقمشة

أسسه اليابانيـون سنة ١٩٣١ ، وعنـد انسحابهـم استثمره الرأسماليون الوطنيون بمساعدة حكومة الكومنتانغ ، ثم أممتـه الحكومة الشعبية سنة ١٩٤٩ . وهو الآن مصنع حكومي رقم (١) ، وبفضل التحسينات التي ادخلت عليه حديثاً والابنية التي اضيفت اليه أصبح اكبر مصنع للصباغات في الشرق الأقصى . وهو يعمـل لحساب الحكومـة . وجميع المواد الاولية للألوان تصنع في الصين .

وفي المصنع اربعة اقسام رئيسية : تبييض ، صبـاغ ، طبع ، حزم . وهو ينتج انواعاً عديدة بما يتلاءم مـع ذوق الجماهير . وفيه دائرة خاصة للرسم تشرف عليها لجنة حكومية تجتمع دائمـاً بالباعة المتخصصين ، وتشرك عدداً كبيراً مـن ابنـاء الشعب في مناقشة تمييز الالوان والرّسوم وتقرير الاقتراحات الـتي تصادق عليها اللجنة أخيراً . وعلى هذه الأسس توجه المصانع في تعيـين الأنسب من الرسوم والالوان .

حديث مع رأسمالي

هو رئيس غرفة التجارة الخـارجية في شنغهاي . اسمه السيد شيه وان كوانغ وهو في الخامسة والخمسين من عمره ، وحديثـه يدل على ذكائه واتساع معلوماته ودهائه في تقدير الظروف التي يعيش فيها .

وفي شنغهاي اتحاد للتجار الصينيين ، وهو مؤلف من هيئات مختلفة منها التجارة الخارجية وهو رئيس غرفتها .

حدثنا عن الوجهة السياسية فقال : ان الطبقة البورجوازية الموجودة اليوم هي جزء من الجبهة الوطنية ، ولها ممثلون في الحكومات والهيئات الاجتماعية . والاقتصاد حكومي موجه ، وفردي موجه . والاقتصاد الحكومي يلعب دور القيادة والاشراف ، والاقتصاد الفردي يعمل تحت اشراف الحكومة . والاثنان يعملان على انفراد وبالتعاون لزيادة الانتاج بواسطة التجارة الخارجية وجميع الوسائل المشتركة لتلبية رغبات الجمهور وتطوير الاقتصاد الوطني . ودور الاقتصاد الفردي هو دور المساعد الفردي لتحقيق ونمو الاقتصاد الوطني بشكل عام .لذلك لا يعني الاشراف عليه تعطيله او تجميده .

في الماضي كان الاقتصاد الوطني نصفه تحت تأثير الاستعمار ، ونصفه الآخر في دائرة تلاعب اصحاب النفوذ . ولهذا كانت البورجوازية الوطنية مضطهدة . ومن الصعب تطوير الاقتصاد الوطني دون الاصطدام بكلتا القوتين . فالاستعمار يهدف دائماً الى تطوير تجارته وتصريف بضاعته والاستيلاء على المواد الأولية. ومعنى ذلك استنزاف الثروة الوطنية والحصول على ارباح كثيرة. وكانت الأقمشة ترد من اليابان وانكلترا ، والتبغ من اميركا ، حتى ان بعض الأثمار كانت تستورد من الخارج .

لا شك ان هذا الوضع قد تغيّر جذرياً في عهد الحكومة الشعبية . فصناعة التبغ والاقمشة الموجودة اليوم تكفي

استهلاك البلاد ، وأكثرها مصانع خاصة وبرأسمال وطني ، وقد تطورت قيمة الرأسمال الوطني ونشاطه بسبب ارتفاع القوة الشرائية . وتحسن الوضع العام لوجود العمل وتثبيت الاسعار وتحسن قوة النقد الشرائية . والحكومة لا تدخر وسعاً في تطبيق السياسة القائمة على مبدأ تنمية الصناعة الحكومية والخاصة وتطوير الاقتصاد الوطني بصورة عامة بتصدير ما يمكن الاستغناء عنه واستيراد ما يفيد تنمية الصناعة الوطنية اولاً ثم ما لا يضر بالاقتصاد الوطني ويؤمن حاجة المستهلكين .

وعلى هذه الأسس يمكن الحصول على اجازات استيراد الحاجيات اللازمة من قبل التجار المستوردين الذين يبيعون للتجار المحليين وللمصانع ما استوردوه ،أوانهم يستوردون لحساب المصانع الخاصة والتجار ما يحتاجونه من السلع ، ويكون دورهم دور الوسطاء. ولا يحظر هذا على التجار الخصوصيين او اصحاب المصانع الخاصة ان يحصلوا بانفسهم على اجازات الاستيراد .

اما الاسعار فتحدد على اساس مصلحة التاجر والمستورد والمستهلك . والاصناف ذات الاستهلاك الكبير تحدد الحكومة اسعارها وتشرف على تطبيق هذه الاسعار لمصلحة الجمهور . اما الاصناف ذات الاستهلاك العادي فممثلو النقابات يتفقون مع ممثلي الحكومة على الأسعار المحددة ايضاً ، والمخالف تلاحقه النقابة ، والحكومة تنفذ توصياتها .

التمويل الزراعي يتم عن طريق التعاونيات الحكومية وشركات الانتاج الزراعي الخاصة التي تراقبها الحكومة عن

كثب. اما الانتاج الصناعي فيجري تمويله من مصانع الحكومة ، والمصـــانع الخاصة المراقبة ، ومن المخازن الحكومية الكبرى مباشرة .

هنالك قانون يعين التجارة او يحددها ، ولكنْ هنالك قانون طبيعي تجري اكثر المعاملات وفاقاً له وهو هذا الانسجام القائم بين جميع الهيئات . فالحكومة على اطلاع دائم على الوضع العام ومعرفة تامة بحاجات السكان ، فاذا خالف المنتج توجيه الحكومة يعرض نفسه للحرمان من العمل نتيجة جهله او عناده . وعملياً كان الذين عاندوا هدفاً للصعاب التي اخرتهم عن زملائهم او اوقفتهم عن العمل نهائياً ، وهذا ما ساعد على تطوير الصنـــاعة وتأمين رغبات الجمهور . ومن ذلك تحقيق الذوق العام الذي املى على المصانع الاكثار من الاقمشة الملونة .

وكانت عمليات النقد او تقلبات اسعاره على الأصح عمليات مضاربة واحتكار وشراء نقد اجنبي مسبق او بضاعة على التسليم ، وكانت الفوضى والاضطراب ملازمين للصناعة . والموقف بصورة عامة كان موقف دفاع شخصي يتمثل بشراء الذهب والاوراق المالية الاجنبية والمواد الاولية ، ومعنى ذلك توسع الاحتكار والطمع ، فكانت تضيع مصلحة المستهلكين في ســـاحة هذه الفوضى ، وتقع في الوقت ذاته خسائر كبيرة تتناول الاكثرية الساحقة ، ولا يستفيد منها الا الاجانب واصحـــاب النفوذ . وقد زالت كل هذه الاخطار بسبب تثبيت الاسعار وثبات النقد، ولم يعد هنالك من سبب لأن يلجأ التجار الى الوسائـــل الملتوية

التي كانت تتبع سابقا .

ومن هذا نجد انه كانت هنالك اقلية تمتص جهود الجميع ، وهذه الاقلية كانت تتمثل بشان كاي شك وعملائه والاجانب وعملائهم . وكان هؤلاء جميعاً يتضافرون على إحداث الفوضى وتقلبات الاسعار ، والرأسمال الوطني يتخبط في هذه الظروف الحرجة معرضاً لجميع الاخطار ، ولذلك وصف الرئيس البورجوازيين الوطنيين بانهم مناضلون لا ينفصل نضالهم عن نضال الشعب ضد الرأسمال الاجنبي وطمع الاقطاعيين في البلاد .

حديث مع فتاة صينية مثقفة

وهذا حديث آخر مع فتاة صينية على درجة عالية من الجمال والثقافة تحمل اسماً من هذه الاسماء الصينية العجيبة « شاتوا ». إنها في الواحدة والعشرين من عمرها ، تحسن الانكليزية وتدرس اللغة الروسية . كانت ترافق اخواننا العراقيين وقد ضمنا مجلس دارت فيه مناقشة حول وضع الصين من العالم وانتهينا الى هذه الاجوبة التي كانت تعنى بها والتي كانت تدل على مستواها الثقافي الرفيع ورصانتها وادبها العالي مما يهيؤها لمستقبل ممتاز في وزارة الخارجية كما تهدف . وهذا حديثها :

لا شك ان مستقبلنا سيكون سعيداً لأننا نشعر اننا كأمة مقبلون على مستقبل سعيد ، ولأننا جميعاً متضافرون على تحقيق هذا المستقبل السعيد ، وسنحصل على جميع ما نؤمل ونحلم لأن الأنانية لا وجود لها في صفوفنا .

وأنا ايضاً سأساهم في نقل بلادي الى مرحلة الاشتراكية ، وعملي كمترجمة هو جزء من هذه الفعالية العامة التي تنهض بالبلاد واداة للتقارب وتوطيد العلاقات بين شعبي وسائر شعوب العالم. وأعتقد ان دور المترجم في هذه المرحلة لا يقل اهمية عن غيره في سائر الحقول . وعلى هذا فأني احب عملي وسأحاول ان اتقنه بما ازود نفسي من ثقافة عامة ومعرفة للغات ، وتفهّم لحقيقة العلاقات بين بلادي وبلاد العالم . وجميع الشعوب تهدف الى تقارب بينها وتعاون اكثر فأكثر، ولهذا أشعر بأن عمل المترجم هو ايضاً سيكون في المستقبل أهم واهم ، وسيفيد ذلك في تحقيق السلام . ونحن أحوج الى السلام من كل شيء ، فالحرب تعطل جميع هذه المشاريع التي رأيتموها في طورها البدائي ، ولهذا فأن عملي كما اتصوره لازم وعظيم . وكلما اوغلت في تفهم حقيقة المستقبل ادرك اهميته وأشعر بسعادة متناهية وثقة في النفس لا حد لها ، فيزيدني ذلك همة ونشاطاً ، ويكون لي حافزاً على الاعتناء بالعلم والثقافة . ولهذا فأنا اؤمن انني سأجتاز جميع الصعاب التي قد تعترضني . ومن المهم جداً ان اقرر ان مستقبلي الشخصي لا ينفصل ابداً عن مستقبل بلادي ، فاذا لم يكن وطني سعيداً فليس هناك اي ضمان لمستقبلي ، ولهذا فأن اول ما افكر فيه وأهدف اليه ان اخدم بلادي على الوجه الافضل ، واملي هو شعبي ومستقبل بلادي . وفي ضمن هذا كله تراني أنا على حقيقتي ووضوح اهدافي .

اشكر لك تلطفك في السؤال ، وهو يدل على رفيع ادبك ،

ولكني سأنقذ موقفك الحرج . (وتبسمت قليلًا) انك تهدف الى معرفة رأيي في الزواج وسأجيبك بالصراحة التامة . وقد تعجب من ذلك، ولكن رقتك في السؤال اعطتني هذه الشجاعة. انني في الحادية والعشرين من عمر الحياة ونسبياً فانا لم اتعد سن الزواج ، ولهذا لم افكر جدياً بذلك . ولكن رأيي بصورة عامة هو ان تطور البلاد في جميع نواحي الحياة يزيد في رفاه الشعب ويساعد على تحول المجتمع نحو اتجاهات روحية قوية تزيد من قيمة الحياة الاجتماعية وترفع القيم الاخلاقية بطبيعتها . فاذا اضفنا الى هذا ان ظروفنا الاقتصادية والسياسية ستكون تبعاً لذلك احسن مما هي عليه الآن فعندئذ ستحل مسألة الزواج على صورة افضل .

اما عن تكوين العائلة ، فقد كانت المرأة لا قيمة لها ولا حقوق ، ولكنها اصبحت في مجتمعنا الجديد تتساوى مع الرجل في جميع الحقوق ، وهي تدخل ميدان العمل بقوة وأمل . وقد حُلت مشكلة تربية الاطفال بما تؤديه دور الحضانة من خدمات يسيرة مما يساعد المرأة على ان تدخل المجتمع بصورة افضل. ولهذا فستكون مهمة تكوين العائلة سهلة ومتفقة مع مصلحة البلاد. ولعمري إن تكوين العائلة على الاسس الاقتصادية والسياسية الجديدة سيكون افضل مما كان عليه من قبل، وستكون العائلة اسعد بكثير مما كانت في المجتمع القديم . اننا نعمل الآن على إنهاض وطننا والمحافظة عليه ، فالعدو ما يزال يترقب سقطتنا ولكنه سينتظر وسنتغلب عليه . اما مصالحنا الشخصية فستتحقق بطبيعتها ضمن المصلحة العامة . ولا بأس في أن انتظر قليلًا ،

وسأجد الزوج الصالح والحياة الهنيئة .

وقد يهمك ان تطلع على بعض النواحي من تفكيري السياسي . لا بأس ، سأحدثك عن هذا ايضاً .

كنت طالبة وكانت رفيقاتي يقرأن بعض المجلات والقصص . واتفق ان عثرت على قصة تقدمية تركت في نفسي اثراً بالغاً قربني من الحلقات الاجتماعية في مدرستنا . وبعد ان نما وعيي رأيت على صعيد واحد بؤس ابناء وطني ونضال الشباب والفتيات ، وشاهدت بنفسي كيف اضمحلت ظواهر البؤس والألم عند الكثيرين ، بعد ان تحررت البلاد بقيادة زعيمنا العظيم ماوتسي تونغ ، فاتسعت بذلك آفاق تفكيري السياسي ، وبدأت أستعرض هذا التباين بين الأمس واليوم ، وادركت ما كنت اذهل عنه في السابق من حياة المعلمين والطلاب وما كان يفرض علينا من البرامج التي تهدف الى تدعيم الاستعمار وخدمة المصالح الاجنبية . وكان معظم هذه البرامج من وضع الاميركيين بصورة خاصة . اما المناهج العلمية فلم تكن تلائم ظروف وطننا ، ولهذا فقد كان المتخرجون لا يجدون عملاً .

ولمعالجة كل هذه الاوضاع يجب ان يكون الاصلاح جذرياً ، وهذا ما فعلته الحكومة الشعبية ، فارتفع مستوى التعليم ، وانتفى إرهاق الطلاب بالرسوم والتكاليف المختلفة . والحكومة تساعد الطلاب مالياً عند الحاجة ، وكثيرون كانوا اصيبوا بالسل لرداءة الطعام ولكن هذا تبدل ايضاً . والمتخرجون تنتظرهم الأعمال الكثيرة .

وهكذا نرى ان وطننا يثب في قفزات واسعة ، وهذا ما يجعلني افهم المستقبل جلياً وكيف نخطو بسرعة نحو الاشتراكية. ونحن الشباب نعمل من اجل هذا كله براحة في الضمير وهناء في النفس .

وكان يسيطر على البلاد في الماضي ثلاثة من الاعداء : الاستعمار والاغنياء البيروقراطيون والاقطاعيون، وهؤلاء حتماً كانوا اسباب فقر الصين اجيالاً عديدة. والعمال والفلاحون الفقراء كانوا يعانون من الجوع والجهل والظلم الاسود المصبوغ بالدم كثيراً من الآلام . وكان الاعداء الثلاثة يستغلونهم لمصلحتهم ويعتبرون الاستعمار سندهم وعلة بقائهم ذوي نفوذ .

اما شان كاي شك شخصياً فقد نشأ في بيئة بورجوازية كبيرة ونافذة ثم حضر في مطلع شبابه الى شنغهاي واشترك مع العصابات في اعمال النهب والمؤامرات ، ثم قذفته حيويته الى الكلية العسكرية فتخرج منها ضابطاً لامعاً لفت اليه الانظار. وكان زعيم النضال الوطني الدكتور صن يات صن يقود الحركة الوطنية ضد الاستعمار على تعدد الوانه ويعمل لتوحيد الصين ، فانضم شان كاي شك اليه بدافع الطموح . واعجب صن يات صن بمواهبه فقرّبه ، وكان الى حين وفاة الزعيم يبدو مخلصاً وعاملاً على تحرير البلاد . ولهذا انتخبه الشعب خلفاً لصن يات صن في رئاسة الجمهورية وقيادة النضال الوطني . وعندئذ ظهر على حقيقته فكان عهده يمثل الاجرام المطلق ، وتدهور وضع البلاد من الناحية الاقتصادية ، وتوسع استغلال الاستعمار ، والفقراء يحاولون العمل

فلا يجدونه . وملأ العاطلون البلاد ، وكان يموت منهم في الشتاء عدد كبير لضعف الغذاء وسوء المسكن ، وكانت الاسعار ترتفع بصورة جنونية . وطبعاً كان هـذا ينعكس في مختلف اجواء الشعب ، وكان والدي لا يوفر اي مبلغ مهما كان زهيداً . وكنا نشتري الضروريات بكل ما عندنا، وقد ترك ذلك اثراً في نفسي . وكانت هنالك اربع اسر غنية تستغل جميع بلاد الصين . وفي جحيم هذا البؤس تظاهر العمال في شنغهاي ، وسفر شان كاي شك عن وجهه الحقيقي ، واباد الابرياء ، حتى كان يوم التحرير . ولهذا فأن شان كاي شك هو عدو الشعب ولن يغفر له احد . كان عليه ان يعرف موقعه من التاريخ ، وان يقبع في زاوية من الارض وان كان الشعب لا ينسى جرائمـه . وها انت تراه يقبع في فورموزا ينتظر اليوم الذي يسوقه الاميركان فيه الى محاربة ابناء وطنه ومحاولة اعادتهم الى حظيرة الاستعمار . وكفى بهـذا سبباً لأن يكرهه كل فرد من افراد الشعب . وانا التي احـاول ان اتحرر من الحقد أشعر بهذا الحقد نحو هذا الاثيم فاعذرني لهذا الضعف .

روضة الاطفال

أسست في آذار سنة ١٩٤٩ خصيصاً لأولاد الموظفين . وكان عدد الاطفال في البدء ٢٥ طفلًا وارتفع هذا الرقم الى ٢٨٠ طفلًا . وقد شمل التطور العام حياة الروضة . فقد بُني في السنة الماضية ملعب رياضي ، وانشئت قاعة للتمثيل .



روضة الاطفال

وفي روضة الاطفال خزانة للثياب مستقلة لكل طفـــل ، واسرّة مع حافظات من الذباب والبعوض، ومغاسل من البرسولين، وحمامات خاصة بالاطفال ، وغرفة للألعاب فيها قطع خشبية لتمرين الأطفال على ما يراه الطفل في الخارج ، وجميع وسائـــل التسلية من طيور وحيوانات اليفة واسماك صنعت كلها من الخشب، ومطبخ طوله ١٢ متراً وعرضه خمسة امتار يعمـــل فيه عشرة موظفين وثلاثة طباخين . ويشرف الطبيب اشرافاً دقيقاً على الطعام .

وتتألف الروضة من خمسة ابنية مستقلة في كل واحدة منهـا جميع الشروط اللازمة لتأمين راحة الاطفال . وفي الحديقة سلالم للتسلق خاصة بالاطفال ، وأراجيح وصناديق للرمل ارتفاع كل منها ٣٠ سانتيمتراً ورفش صغير وملعقة للبناء .



روضة الاطفال

تشغل الادارة اربع غرف ، ويوجد سنترال للتلفون يربط جميع اجزاء المؤسسة ، وصالة انتظار ، وعيادة طبية ، وطبيب ، واربع ممرضات ، ودوسييه لكل طفل. وبظرف خاص رسوم الرئتين مع الصدر ، وبراد للبنسلين .

الدار نموذجية . وهنالك الى جانبها مئتا روضة مع دور حضانة للمنظمات والمصانع والمدارس والجيش .

ويُعطى الاطفال ثلاث وجبات في اليوم . والغذاء والالبسة يقدّمها الأهلون والرسوم قليلة والحكومة تدفع العجز في الميزانية .

في كل اسبوع يعقد اجتماع بين الطبيب والمدير ومدير المطبخ، ولكل طفل ١٥٠٠ وحدة حرارية .



روضة الاطفال

والمشرفات صبايا ، وجميع الاساتذة نساء . ولا تحـــدد زيارات الاهلـــين لاطفالهم . وللأطفال ان ينضموا لأهلهم من ظهر السبت الى صباح الاثنين . ويمكن للموظفين مصاحبة اطفالهم في عطلة الصيف . والأدارة تنظم نزهات على شاطىء البحر ايام الصيف ، ويسمح بالمخابرات بين الاطفال وذويهم . لكل طفـــل ملف خاص عن تطور صحته وثقافته يعرض على أهله وتؤخذ ملحوظات هؤلاء بعين الاعتبار . وفي كل ستة اشهر تقدم الادارة الى آباء الاطفال والمسؤولين عنهم تقريراً قابلًا للمناقشة .

شو آن لاي

ليس من الغريب أن أتخيّر هذه الشخصية لأكتب عنها وفي الصين خمسة يقبضون على ازمة الحكم وهو احـــدهم ، فقد لفت هذا الرجل نظري بصورة خاصة مساء الدعوة التي وجههـــا الى الوفود التي حضرت مهرجان الذكرى الرابعة لاعلان الجمهورية الصينية .

كنت أمثل لبنان بين مختلف وفود الأمم مـــع رفاق من لبنان وسوريا والعراق ، وقد ادهشني أن يطوف هذا الرجـــل الفولاذي ، بعد خطاب الترحيب ، باكثر من مائة مائدة ليشرب نخب الجالسين عليها بلا انقطاع وبدون ان يتأثر او يفقد شيئاً من وداعته ومرحه .

وقد حفزني للكتابة عنه هذا الدور الحاسم الذي لعبه اخيراً في مؤتمر جنيف وقد كان يمثل ربع سكان العالم،ويفرض شخصيته على المتفاوضين ، ويهزم دعاة الحرب بصراحته وتمسكه في وجوب إقرار السلام وكسب قضية الحرية لشعب الفيتنام .

إنه احد خمسة يقودون الصين في نهضتها الحديثة وفي طليعتهم ماوتسي تونغ الزعيم العظيم وقائد المسيرة الكبرى في التاريـــخ الحديث ، والثالث « تشونيه » القائـــد العسكري او « صخرة

الجرانيت » الذي لا يقهر ، والرابع هو « ليوشا وتشي » المنظم الذي يستطيع ان ينظم اي شيء في اي وقت ولكل مناسبة ، والخامس هو « جين بي شيه » الرسام الذي انقلب اقتصادياً ساحراً يستطيع ان يدبر اي مبلغ في ايّ ظرف . وقد عملت هذه القيادة في تناسق تام طوال ربع قرن من حياة النضال في الصين ، وصمدت للاحداث والمحن ، واستطاعت ان تتحدى قوى الغرب الاستعمارية حتى جلس ممثلها اخيراً جنباً الى جنب مع إيدن ودالاس ومولوتوف ومنديس فرنس ليحلّ مشكلة الحرب في الهند الصينية وليحسم مشكلة العصر الكبرى وهي مشكلة آسيا.

يمثل شوآن لاي شخصية الديبلوماسي الرقيق المرن الذي يتناسق فيه التفكير والتنفيذ والايمان ، وشخصية الانسان الذي يفيض حناناً للطفل الصغير ويسيل رقة للفتاة الخجول، وهو كما قال عنه « ادجار سنو » يحسب حساباً لكل شيء وقد أُوتي عقلاً منطقياً وعملياً .

كان أبوه طبيباً في بلاط الامبراطور، واشتغلت أمه بالأدب والفن، وكانت تحبه وتؤثره على إخوته وتعدّه ليكون اديباً . وكان هو ايضاً يحلم بذلك ، ولكن الأحداث كانت أقوى من أحلامها . فقد تتابعت بسرعة بعد ان خلع صن يات صن الامبراطور وأعلن الجمهورية . وبعد الحرب العالمية الاولى برزت اليابان تتأهب لتحقيق حلمها الاكبر في السيطرة على الصين ، وتقدمت من الصين بالمطالب الاحدى والعشرين المعروفة فثارت الصين في الشمال والجنوب . وكان شو آن لاي أحد أعلام الطلبة في بكين يقود المظاهرة الكبيرة يوم ٤ مايو سنة ١٩١٩ فقبض

عليه وسجن لمدة عام وفي السجن التقى بالفتاة الجامعية «تنج يانج تشاو» التي تجاوبت معه في تفكيره ومقاومته للاستعمار فتزوج منها فيما بعد.

ذهب الى اوروبا بعد فترة الاعتقال ودرس في جامعات فرنسا وانكلترا وألمانيا، ثم عاد الى وطنه في سنة ١٩٢٤ أشد ايماناً بحرية الصين وعدالة قضيتها، وقصد الى كانتون يضع مواهبه بين يدي ابي الثورة صن يات صن. وعينه الرئيس مديراً سياسياً لكلية «هوامبو» وكان يرأسها شان كاي شك حينئذ.

وقد خلف شان كاي شك الرئيس الراحل في قيادة المعركة لتوحيد الصين، وعهد الى شو آن لاي مهمة الاستيلاء على شنغهاي من الداخل، وقد كانت قلعة الاستعمار والمدينة التي لا تؤمن بغير المال والمتعة. فاستطاع أن يحقق المعجزة، ودخل شان كاي شك المدينة ظافراً وأتمّ بسط نفوذه على الصين كلها في سنة ١٩٢٧.

ولكن غريزة السيطرة تنبهت في نفس الرجل الذي ظن الناس أنه منقذهم، فانقلب على الاحرار غادراً وماكراً يقود المذبحة الكبرى. واستطاع البعض أن ينجو، ومن هؤلاء ماوتسي تونغ وجين بي شيه وشو آن لاي. وقد قبض على الاخير واوشك ان ينفذ فيه حكم الأعدام، ولكن ضابطاً من تلاميذه في كلية «هوامبو» سهل له الفرار.

ونجا ماوتسي تونغ في طريقه الى المقصلة، واجتمع الاحرار واعتصموا بالجبال وكوّنوا جيشاً من الفلاحين استطاعوا به ان يهزموا اربعة جيوش سيّرها شان كاي شك للقضاء عليهم. ثم سيّر عليهم جيشاً خامساً بقيادة الجنرال الألماني «فولكهاوزن» فغلبهم واضطرهم الى الانسحاب التاريخي المعروف بالمسيرة الكبرى.

جيش يهاجر

سار هذا الجيش المكون من الفلاحين والمثقفين والرجال والنساء والاطفال من جنوب الصين الى شماليها يناور الجيوش المهاجمة في رحلة طولها ١٢٠٠٠ كيلو متر حتى التقى بالقائد « تشوتيه » في الشمال .

كان عدد افراده ٤٠ الفاً عبروا السهول ، وتجاوزوا الهضاب، وخاضوا مئات المعارك ، وخرجوا من اكثرها ظافرين متحدي الصفوف بفضل التعبئة التي عرفت باسم الزعيم الكبير: «ستراتيجية ماوتسي تونغ » .

وفي إبان المعارك هاجم اليابانيون الصين ، فعرض الاحرار على شان كاي شك تأليف جبهة وطنية لمقاومة الغزاة ، ولكنه رفض وأصر على قتالهم ، فكرهه الشعب وبدأ الانصار من الشباب ينضمون الى جيش الحرية .

وقد أثار هذا الموقف العناصر الوطنية وأجمعت على قتل شان كاي شك ، ولكن شوآن لاي انقذ حياته ومكن للجبهة الوطنية أن تسير في حركة النضال حتى قامت الحرب الثانية .

وقد حاولت اميركا في أول الأمر ان توفق بين ماوتسي تونغ وشان كاي شك لتشكيل جبهة متحدة ضد اليابانيين ،وكان شوآن لاي يمثل جبهة الحرية ، وقد منحته هذه الفترة فرصة ثمينة لدراسة دخائل السياسة الغربية والتعرف على حقيقة المطامع الاستعمارية .

وفي سنة ١٩٤٦ نقض شان كاي شك الائتلاف وهاجم ماوتسي تونغ . ولكن الفساد كان قد تغلغل الى اعماق نفوس

القادة الملتفين حول تشان كاي شك فما لبث نظامه ان انهـــار ، واضطر الى الهزيمة والانكماش في جزيرة فرموزا وما يزال .

وبعد أن اعلنت الجمهورية عين « ماوتسي تونغ » شوآن لاي رئيساً للوزارة ووزيراً للخارجية ، فأدى هذا مهمته عـلى أحسن وجه ، ووضع للصين في السياسة الخارجية قواعد ثابتة اقامها على أسس ثلاثة ، وهي التحالف مع الدول الاسيوية والاتفاق مـع الاتحاد السوفياتي واستغلال تناقض المصالح بين الدول الغربية ، وقد وفق في ذلك الى حد بعيـــد . وكان الخلاف بين اميركا وبريطانيا حول استغلال آسيا نقطة الانطلاق للسياسة التي اتبعها شوآن لاي . وقد اشتد هذا الخلاف خلال الحرب ، وبلغ ذروته بعد سقوط الصين في يـــد الزعماء الاحرار وفرار شان كاي شك الى فورموزا .

فالسياسة الاميركية قامت على اساس بناء اليـابان اقتصادياً وعسكرياً لتكون القاعدة الاميركية الرئيسيـة على أن تكملها فورموزا والفيلبين وكوريا . وكانت بريطانيا تخشى أن تبعث اليابان من جديد ، فقد اكتوت بنار منافستهـا الاقتصادية من قبل ، وهي لا ترتاح لسيطرة اميركا على المحيط الهادي . وقــد ادرك شوآن لاي كل هذه المتناقضات في سياسة الدولتين الحليفتين فلم يبخل على بريطانيا بما يغريها في النفاذ الى السوق الصينيـــة ، والصين تعد خمسمائة وستين مليوناً من المستهلكين ، فكيف تضيع بريطانيا هذه الفرصة الذهبية والازمة خانقة وكان عليها أن تستجيب لنداءات الصناعيين والاقتصاديين في بلادها . فاعترفت بالصين واقامت لتجارتها اسواقـــاً حرة في هونغ كونغ وكولومبو وعدن ، وغدت الصين بفضل الاتفاقات التي عقدتها

مع بريطانيا تحصل على كل ما تريد من بضائع العالم، وبذلك هدم الانكليز بيدهم صرح الحصار الاميركي المضروب على سواحل الصين . وقد ساعد على تسهيل هذه المهمة اعلان ماوتسي تونغ ان النظام الاقتصادي في بلاده خليط من الرأسمالية والاشتراكية .

واستغل شو آن لاي هذا الموقف في مساومة فرنسا التي كانت تضيع في حربها مع الفيتنام كل ما كانت تحصل عليه من المساعدات الأميركية، وقد بلغت نفقات هذه الحرب ١٢٠٠ مليار فرنك . وقد شعرت فرنسا باستئثار بريطانيا بأسواق الصين فتململت ولكن أميركا ظلت وراءها لتدفعها في الاتون الملتهب، حتى كانت معركة ديان بيان فو ، فاقتنعت فرنسا بأن المعركة في جملتها خاسرة واستجابت لنداء شو آن لاي في انهاء الحرب التي انهكت قواها ، وهكذا انتصرت آسيا مرة اخرى ، وانتصر شو آن لاي على السياسة الاستعمارية مرة ثانية .

وقد يبدو هذا كافياً للتعرف على شخصية شو آن لاي السياسي الداهية . ولكن الرجل يحمل شخصية المنظم فهو الذي يشرف على حركة الشباب التي تنتظم ١٨ مليوناً منهم ينفذون تعاليمه في هذه النهضة الشاملة ، وهم يقدرون مسئولياتهم ويتحمسون لها ويؤدون واجباتهم بأيمان وثقة ، حتى تشعر وانت تتحدث اليهم ان الصين تملك بهم ثمانية عشر مليوناً من القنابل الذرية تهدد نفوذ أميركا في آسيا كلها . إنهم يطمحون الى المركز الاول بين شعوب العالم ، وقد أذابوا أنانيتهم في سبيل المجد الذي ينتظرهم ، فليرتقب العالم كل خطوة من خطواتهم ، وفي الغد القريب أحداث سيكون هؤلاء الشباب ابطالها وقادتها ، فلننتظر وعلى التاريخ أن يهيء لهم مكاناً رحباً .

انطباعات عن الصين الجديدة

كانت الدعوة الى زيارة هذا العالم الكبير مفاجأة سارة ، وقد استعرضت ما بقي في ذاكرتي عن هذه الأمة المحاطة بالأسرار ، ثم استقر تفكيري على هذه الصفحات الخالدة من نضال الدكتور صن يات صن في سبيل وحدة الصين وتحريرها من الاستعمار والجهل والفقر والعبودية .

وحين وصلت الى المحطة الأولى من الحدود فوجئت بهذا الشعب العظيم وهو يتحرك جميعه الى المستقبل الافضل ، ورأيته يبني ويرفع قواعد نهضته والفرح يعلو وجه كل واحد من ابنائه . وبعد زيارة العاصمة أشبعت كل رغباتي في الاطلاع على حياة الشعب الصيني قديمها وحديثها وتجولت في ساحات القصور والحدائق والمرتفعات والبحيرات التي توّفر الاباطرة على تسخير مئات الالاف من الناس في إنشائها وتزيينها ، واعجبت بهذه العناية التي تبذلها حكومة الشعب لاعادة ما تلف من أجزاء القصور والمعابد ، وتعرفت على الخطوط الكبرى لهذه النهضة الشاملة ، واتصلت بجميع الطبقات وعرفت بذلك كيف تنمو ثقة الشعب بقادته وكيف يسير موكب التاريخ . واذا كانت الامم الاوروبية والقسم الشمالي من أميركا يفاخر ببناء الحضارة الحديثة ، فان هذا البناء لا ينفصل ابداً عن الحضارات القديمة التي

انشأها اليونان والشعب الصيني والعرب .

فللصين ان تذكر انها اعطت الحضارة البوصلة والمطبعة الحجرية والمطبعة ذات الحروف المتحدة ، واكتشفت البارود ومهّدت بصناعتها للورق ان تنتشر ثقافة الشعوب وآدابها وعلومها .

وقد كانت حرب الافيون اولى الشرارات التي كشفت انوارها عن منابع غزيرة للدماء الزكية التي قدمها الاحرار على مذبح حرياتهم السليبة فلم يذعنوا لقوة الحديد والنار وابوا على المستعمر ان ينتقص من حرياتهم فناصبوه العداء وشدّدوا المقاومة .

وأبرز الانطباعات تتجمع في هذه الأرادة التي صهرها الايمان بحق الحياة الحرة الكريمة ، وفي هذه الثقة العظيمة التي وضعها الشعب بقادته ، وفي حماسة هؤلاء الشباب الساهرين على تنفيذ برامج النهضة الحديثة ، وفي هذا الاخلاص من العمال والفلاحين وتنافسهم من اجل تحقيق برنامج السنوات الخمس . وفي المرأة الصينية التي اخرجها النظام الحاضر من قيود التقاليد ، وأشركها مع الرجل في الحقوق والواجبات ، ودفع بها الى حياة العمل برفق ومرونة ، وحافظ على شخصيتها وعلى فطرتها السليمة ، وجنّبها اوساخ المدنية الغربية ، وجعل منها أماً وسيدة وعاملة. وفي هذا التطور الشامل في التعليم والصحة ، وتأمين العمال ، وانشاء دور الثقافة والمستشفيات ودور الحضانة ، وفي رفع مستوى الفلاح وتحريره من الاقطاعية وتمكينه من الحياة السعيدة، وفي هذه المعاملة الكريمة التي حرصت حكومة الشعب على ان

ترفع بها مستوى الاقليات القومية وان تساعدها على احياء ثقافتها ونشر آدابها .

اننا لا نجهل ان امام الصين مصاعب جمـــة وان في صدور المستعمرين احقاداً ما تزال على غليانها ، ولكنّ المستقبل كفيـل باظهار هذا الشعب على حقيقته .

ولقد بالغ الشباب في انكار الذات ، وابوا عليّ كثيراً من ذكريات نضالهم تواضعاً . واني لأذكرهم بأن التاريخ يلح على تدوين ذكرياتهم عن الاحداث التي مروا بها ، فلكل ذلك قيمة تاريخية تساعد الاجيال المقبلة على الاحتفاظ بما اعطاهم آباؤهم من حرية و كرامة .

وفي رأيي ان الصين تحتاج الى امرين هما أسّ نهضتها الحديثة : الأول ان تتمتع بسلم طويل الأمد ، والثاني ان تتمكـــن من اعداد الملاكات اللازمة لجهاز البناء والتعمير وتحسين الانتاج .

كانت الصين القديمة والجديدة شبه مجهولة لدينا لا نعرف عنها غير التهاويل وهي تمثل عندنا نموذج العالم المغلق على نفسه . ولكننا رأينا ان هذا الشعب لم يفقد اصالته . وتبدو تجربة الاشتراكية ناجحة منذ خطواتها الاولى . انها نهضة جذرية شاملة وعلى اساس صحيح . وها نحن نتحدث الى شعبنا عن كل ما رأيناه . وفي غد سنتمتع جميعاً بالسلم لان اتحادنا وصداقتنا يضمنان بقاءه ، وسنلتقي يوماً مع جميع الشعوب على صعيد واحد هو صعيـــد الحرية الكامـــلة .

فهرست

●

للمؤلف

في ظل الاشتراكية :

	ق.ل
١ . رومانيا	١٠٠
٢ . الصين الجديدة	٢٠٠

يظهر قريباً :

٣ . الاتحاد السوفياتي

٢٠٠٠ / ٥٤ / ١١ / ٢١٧



صدر حديثاً :

الكتاب	المؤلف	ق . ل
قصة الانسان (طبعة ثانية)	للدكتور جورج حنا	٢٥٠
ضجة في صف الفلسفة	» » »	١٠٠
واقع العالم العربي	» » »	١٥٠
لاجئة	» » »	٢٠٠
الحارثيات اربعة اجزاء	» » » (كل جزء)	١٠٠
طريق التبغ (رواية)	لأرسكين كالدويل	٢٠٠
افول القمر (رواية)	لجون شتاينبيك	١٥٠
حياتي (رواية)	لانطون تشيخوف	١٢٥
بستان الكرز (مسرحية)	» »	١٠٠
العمل والعمال	لفرنسوا باريت	٢٠٠
الخالدون العرب	للأستاذ قدري حافظ طوقان	٢٠٠
شارع السردين المعلّب (رواية)	لجون شتاينبيك	١٧٥
في ظل الاشتراكية . رومانيا	عبد السلام الادهمي	١٠٠
ارض المآسي (رواية)	لآرسكين كالدويل	٢٠٠
الحقيقة ماتت (مسرحية)	لعمانوئيل روبلس	١٠٠
دروب	لميخائيل نعيمه	٢٠٠
السابقون	لقدري قلعجي	١٥٠

الثمن ٢٠٠ ق. ل. او ما يعادلها

مطابع الآداب - بيروت